

مناقشات وبحوث
حول تاريخ الأمة العربية

من أوراق مؤتمر تاريخ الأمة العربية المنعقد
بمدينة بنغازي الليبية في التاسع من شهر أفريل عام 1979

د.نورالدين حاطوم
د.توفيق اليوزبكي
د.زاهية قدورة
د.عبد اللّه الشبل
د.تيسير الناشف
د.حسن حداد
د.فرحات زيادة
د.رفعت أبو الحاج
د.شايف سعيد
د.مصطفى هيكل
د.أحمد جودة
د.طريف الخالدي



منشورات الطليعة
1984

مؤتمر تاريخ الامة العربية

افتتح « مؤتمر تاريخ الامة العربية » يوم الاثنين في التاسع من نيسان الماضي في جامعة قار يونس بمدينة بنغازي بالجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية. وقد ألقى كلمة الجامعة الدكتور عبد الحفيظ الزليتني . ثم القى الدكتور حسين أمين « أمين عام اتحاد المؤرخين العرب » كلمة الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، أشاد بها بهذه المبادرة من قبل جامعة قاريونس ، وأوضح مهام اتحاد المؤرخين العرب والتي حددها في ثماني نقاط . ثم تحدث عن مواقف التخاذل والاستسلام التي يمضي فيها حاكم مصر ، ووصف هذه المواقف بانها انفرادية مرتجلة وصفقة ذليلة خاسرة لا تعبر عن طموحات الامة العربية . واختتم حديثه قائلا : ان على المؤرخين العرب تقع مسؤولية صعبة ولكنها شريفة وخطيرة حيث انهم مكلفون بوضع الخطوط الرئيسية لكتابة تاريخ الامة العربية ودراسة الوضع الراهن .

كلمة امين التعليم

ثم القى بعد ذلك الدكتور محمد أحمد الشريف أمين اللجنة الشعبية العامة للتعليم والتربية كلمة قال فيها :

يسعدني أن أرحب بالاخوة العلماء الذين يشاركون في هذا المؤتمر على أرض الفاتح العظيم .

أيها الاخوة :

من الطبيعي جدا أن يعقد مثل هذا المؤتمر في رحاب هذه الجامعة ، ففي قسم التاريخ بهذه الجامعة درس الطالب الثائر معمر القذافي ، وفي هذه الجامعة تحدث قائد ثورة الفاتح بعد اعلان الثورة الشعبية عام ١٩٧٣ م للطلبة والاساتذة عندما كانوا يناقشون اعادة تنظيم المناهج وتثويرها .. تحدث ونادى بكل قوة بأن يكتب تاريخ الامة العربية على أساس الوضوح والموضوعية وعلى أساس الامة العربية الواحدة . ثم تلت ذلك مؤتمرات كثيرة شارك فيها الاساتذة والطلاب وكان الجميع في كل جامعاتنا ينطلقون في ثورة ثقافية تركز على تاريخ واحد أصيل واضح لهذه الامة العربية . من هذا المنطلق كان ذلك التاكيد الكبير لتاسيس اتحاد المؤرخين العرب الذي يعتمد في نظرنا حدا أدنى في سبيل تحقيق خطوة على طريق طموحاتنا من أجل ثوره ثقافية رائدة .

ايها الاخوة :

يعقد هذا المؤتمر للبحث في موضوعين . وهذان الموضوعان لهما أهميتهما على مستقبل الامة ، ونحن نعيش في أيام هذا المؤتمر مع علماء ومؤرخين لهم تجارب وبحوث رائده في مجالات التاريخ لا بد لنا من أن نقدر كل الجهود التي سوف يديرونها جميعا من أجل توضيح جوانب هذين الموضوعين الهامين .

دراسة الوضع الراهن العربي لا بد أن يعمل على محاولة تغييره الى الافضل ، وتاريخ هذه الامة تاريخ مجيد لتفرده بين الحضارة ، وقد حاول الكثيرون أن يشوهوه بسوء نية من أعداء الامة من خارجها ، وأحيانا بحسن نية وسذاجة من بين بعض أبناء هذه الامة ، ولم يسجل التاريخ في مجال البحث العلمي مغالطات كبرى تعرض لها فكر وحضارة الامم مثل ما تعرض له تاريخ هذه الامة من قبل مؤسسات تدعي الى اليوم بأنها علمية وتبرز الى اليوم في بلاد يقال انها متقدمة . حتىالانسان المحايد يستطيع أن يرى وأن يتعجب وبأسلوب علمي من هذه الظاهرة اللاانسانية التي أوجدت ذلك الحشد الكبير ـ أية أمة وأي تاريخ ـ تاريخ عريق في مثله الانسانية .. عريق في صفحاته المشرقة بالمحبة والعدل والمساواة ، تاريخ أفسح مجالا للانسان الفرد وانطلقت فيه الجماهير المؤمنة بربها تصنع الخير في كل أرجاء الارض لتؤكد احترام الانسان بصرف النظر عن كل ظروفه الاجتماعية والجغرافية .

أقول ان الباحث العلمي المحايد لا بد وان يتعجب من هذه الظاهرة اللاانسانية والتي تمثل حرصا شديدا

من مؤسسات كثيرة تظهر في كثير من البلاد من حول الوطن ومن نفس الوطن لتسير على طريق التشكيك في مقدرة الامة وتشويه تاريخها . وتجد هذه الافكار صدى عميقا عند الكثيرين الذين لم يدركوا بعد بأن أهواء وأغراضا غير علمية توجد عند مدعي العلم وكثير من دعاة المعرفة بالمؤسسات العلمية في أنحاء العالم ، فهم مثلا سيقولون للذين يقولون بدراسة الوضع الراهن من المؤرخين ، لا تفعلوا ذلك لانها أحداث معاصرة لم تدخل التاريخ واتركوها حتى تصبح تاريخا . وعندما يريدون كتابة تاريخ الامة .. سيقولون لكم انكم تفقدون المراجع والكتب والمخطوطات ولذلك لا تستطيعون ذلك .. هذه مغالطات يعرفها دارس المنطق .. ان البحث العلمي وما يصحبه من موضوعية امر يختلف باختلاف موضوعات هذا البحث . فالبحث العلمي في مجال العلوم الانسانية يختلف بطريقة كبيرة عن البحث في مجال العلوم الفيزيائية .. هم سوف يقولون لنا بأن الاسلوب العلمي لتاريخ الامة العربية ليس عظيما ولا توجد فيه بطولات كما قرأنا في التاريخ .. لماذا ؟ لانهم يريدون أن ننقص من امرنا ونبتعد عن المثل العليا التي استشهد في سبيلها العشرات والمئات من أفراد هذه الامة .. يريدون بأن يشعرونا بأن ما نعرفه من تاريخ لا وقت له .

لماذا كل هذا الحديث ؟ لان التاريخ امر خطير ، فالانسان في تعريفه هو تاريخ يمشي على قدميه .. ولن يستطيع أن يدرك الى أين يسير ، لذلك ومن هنا جاءت أهمية كتابة تاريخ هذه الامة وتنقيح هذا التاريخ من كل الشوائب التي وضعها المستشرقون وعلماء الانثربولوجيا.

نحن لا نستطيع ان نتأخر .. لاننا اذا ما تأخرنا يوما سوف يكتبون تاريخنا ، وانتم تعرفون المؤسسات الموجودة في الوطن العربي التي تكتب تاريخ هذه الاجزاء . وهى بالنسبة لنا نقيمها على أساس انها مشكورة ، نرحب بها اذا ما كانت تكتبه في اطار تاريخ قومي واحد ، اما الذي نراه فهي مؤسسات تكتب أجزاء من تاريخ الوطن العربي تضع فيه الاسس لمثل اقليمية .

هناك مؤسسات خارج الوطن العربي يصرف عليها بكرم من أجل اعادة كتابة تاريخ الامة العربية وحشوه بكثير من المفهومات وبطريقة ذكية سوف تشوش علينا عقولنا اذا لم نقم بثورة ثقافية .

واليكم مثالا واحدا من كتاب سوف يكون له خطره هو (الهاجرين) من بريطانيا . في الاعداد الثلاثة الماضية سررت كثيرا ان أمانة اتحاد المؤرخين العرب كان لها علم بهذا الكتاب ووزعت منشورا تنبه فيه العرب والحكومات الى خطر هذا الكتاب . وارجو أن يتوفر لنا من الباحثين من يستطيعون بطريقة علمية أن يحيدوا كل الشكوك وكل الاخطار الزاخر بها هذا الكتاب ، لان الكتاب وضع برغم من انه مؤلف من شخصية رصينة لكنه يقول بطريقة مغلفة (بأن العرب ليس لهم تاريخ وان اليهود هم الذين أنشأوا الاسلام) . كتب كهذه لا توضع اعتباطا لكنها تمهد لاخطار كثيرة سوف تظهر بين كثيرين من ابناء هذه الامة . ويكفي أن نعرف بأن هذا الكتاب هو تمهيد لخطوط استسلامية سارت فيها مصر .. ونامل أن لا تسير فيها الدول العربية الاخرى .

لا أريد أن أقدم بحثا ولكنني أريد أن اشير الى ملاحظتين هامتين :

(١) عبارة الاسلوب العلمي الموضوعي الذي يجب أن نتوخاه في كتابة التاريخ هذا .. فهذا الاسلوب لا بد أن يدرس بعناية وتوضح المبادىء والاسس التي يجب أن يلتزم بها الجميع في اعادة كتابة هذا التاريخ. فالموضوعية هي أن نعرف بأن الجماهير هي البداية وهي النهاية في نظرنا في تاريخ هذه الامة ، ومن الموضوعية أن يبتعد العلماء عن اي نظرة لاية سلطة حكومية ولاية عائلة حاكمة ولاي حزب حاكم ولاي طبقة حاكمة ، وأن لا يوضع فى الاعتبار الا الجماهير العريضة ، وفي الجماهير تكمن الحرية التي هي الاساس في هذا البحث الذي يشد ماضي الامة ومستقبلها .

(٢) دراسة الوضع العربي الراهن ، ولعل البعض يتساءل : ما هي المعارف التي يجب أن تراعى وتبرز في هذا الوضع الراهن ؟ نحن في الجماهيرية لم ولن نقول في يوم من الايام عن أي شيء بأنه غير جدير بالدراسة والبحث.. كل الانشطة والظروف الاجتماعية والسياسية التي مرت بها الامة في هذا العصر جديرة بالبحث العلمي من طرف العلماء العرب ولكنها دراسة نقدية لا تجامل الا الحق ولا تنظر الا بالعين الناقدة ، وهي محاولة لم تجرب الا على فلسطين ، فهى تمثل في حياتنا نقطة الالتقاء في تجسيد تلك المعاناة التى حاول فيها الانسان العربي أن يتخلص من قيود الاستعمار والتبعية والتخلف .

وقضية فلسطين اليوم تعرضت لاخطر تعرض . لم نعد نشعر بالخطر من استغلال الارض واستعمارها .. لكننا نواجه مشكلة تطويع الانسان العربي من اجل القبول بالاستعمار الاستيطاني ، وهي محاولة لم تجرب الا على الانسان العربي ، والتصدي لها يكون بوعي . واذا ما عدنا الى الماضي القريب فاننا نجد ان ثورة الفاتح العظيمة قد نبهت وخلال أيام حرب اكتوبر نفسها الى خطورة المرحلة التي تقدم عليها هذه الامة . وتأتي الايام لتوضح بأن ما نبهت اليه ثورة الفاتح هو بكل أسف ما انتهت عليه أمة العرب ، كما أشار أمين الاتحاد الى هذه المعاهدة التي وقعها فرد واحد . وعلى الرغم من هذه المواقف لا بد أن نشير الى انه من بين الخطوات الاساسية في مجال التصدي لما يكتنف قضية فلسطين لا بد لنا أن نشير لجهود أخرى قامت بها بعض الدول العربية بعقد

اول مؤتمر للصمود والتصدي فـي طرابلس لاجهاض المبادرة التي قام بها حاكم مصر . ولعل المؤتمرات العربية التي عقدت بعد ذلك تعتبر انطلاقا على الطريق الـذي صنعه مؤتمر الصمود والتصدي .

واذا حاولنا أن ننظر الى ما يزخر به الوطن العربي من أحداث جديرة باهتماماتنا فلا بد لنا أن نعود الى عام ١٩٧٧ م ، حيث ظهر في الوطن العربي أول جماهيرية في التاريخ استطاعت فيها جمـاهير الشعب العربي الليبي بقيادة ثورة الفاتح العظيمـة ان تكون جماهيرية تكون فيها السلطة كل السلطة للشعب ، بعيدا عن الحزب الواحد والاحزاب المؤتلفـة والامبراطورية والجمهورية الرئاسية ... هذه ظاهرة جديرة بعناية الاخوة علمـاء تاريخ العرب : لانه من خلال هذا الحدث الكبير يمكنهم التعرف على المشكلات السياسية المستعصية التي توجد في الوطن العربي في هذا العصر .

القرارات والتوصيات

انطلاقا من أهدافنا القومية وايمانا منا بأهميـة تاريخنا انعقد مؤتمر تاريخ الامـة العربية في جامعـة قاريونس للفتـرة من ٨ ــ ١٢ نيسان (ابريل) ١٩٧٩ لمناقشة ودراسة الموضوعين التاليين :

* الوضع العربي الراهن .
* كتابة تاريخ الامة العربية .

واتخذ المؤتمر القرارات والتوصيات التالية :

(١) توجيـه الامتنان والشكـر الى الاخ العقيـد معمر القذافي قائد ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة على مواقفه الوطنية الرائعة ودعمه للمؤرخين العرب .

(٢) يحيي المؤتمر دول الصمـود العربية ويؤيد نضالها ضد المحاولات الاستسلامية والامبريالية العالمية.

(٣) يدين المؤتمر بشـدة الاتفاقية الاستسلامية الساداتية الصهيونية ويطالب بتطبيق الحد الاقصى من العقوبات التي اقرها مؤتمر القمة في بغداد ضد كل من مصر واسرائيل واميركا .

(٤) يدعم المؤتمر نضالات الجماهير العربية في فلسطين المحتلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الوحيد والشرعي للشعب الفلسطيني ويشيد ببطولاتهـا الرائعـة .

(٥) يبـارك المؤتمر الخطـوات الوحدوية بيـن شطري اليمن وبين القطرين الشقيقين العراق وسوريا .

(٦) يدعو المؤتمر الاقطار العربية الى دعم دول المواجهة ويحيي الحركة الوطنية في لبنان في نضالهـا من أجل وحدته وعروبته .

(٧) يدعو المؤتمر الجهـات المعنية في الاقطار العربية الاهتمام بدعم الاعلام العربي في العالم الخارجي لترسيخ قضايانا المصيرية .

(٨) اقرار تنفيذ اقتراح أمانة اتحـاد المؤرخين العرب بكتابة تاريخ الامة العربيـة ، ويتولى الاتحـاد الاشراف الكامل على تنفيذه .

(٩) قيام اتحاد المؤرخين العرب بتكليف الباحثين والمؤرخين العرب مـن المعروفين بمنطلقاتهم القومية السليمة وكفاءتهم العلمية بكتابة المواضيع التاريخية .

(١٠) تقوم الامـانة العامة للاتحـاد باجراء الاتصالات مع الحكومات والمؤسسات الثقافية العربيـة لتأمين التمويل اللازم لانجاز هذا المشروع .

(١١) يقوم الاتحاد بتشكيل لجنة تحضيرية من المؤرخين العرب لوضع الهيكل العام للمشروع .

(١٢) يقوم الاتحاد بتـوفير الوثائق والمصادر الضرورية التي تعين الباحثيـن العرب في كتابة تـاريخ الامة العربية .

(١٣) تكلف الامانة العامة للاتحاد بتوجيه نـداء الى الوزارات المختصة في الوطن العربي للاهتمام بانشاء مراكز ثقافية في مختلف انحاء العـالم تعنى بالتراث العربي والتعريف به .

(١٤) يوصي المؤتمر اتحـاد المؤرخين العرب بالسعي الى اصدار موسوعة عربية اسلامية وأن ينسق مع الجهات المعنية بهذا الموضوع .

(١٥) يوصي المؤتمر الجامعات العربيـة بضرورة الاهتمام بتاريخ افريقيا .

(١٦) نظرا للاعمال الجليلة التي قام ويقوم بهـا الاستاذ الدكتـور حسين امين ، الامين العام لاتحـاد المؤرخين العرب ، يرفض المؤتمر بالاجماع طلبه بالتخلي عن مهمته وينتخبه مع أعضاء المكتب الـدائم بالاستمرار للدورة القادمة وفق نظام الاتحاد .

(١٧) يشكر المؤتمر جامعـة قاريونس على كريم ضيافتها وحسن تنظيمها لهذا المؤتمر .

* *

مشكلات واقتراحات

تاريخ لأصالة امتنا ...

د. توفيق اليوزبكي

يعتبر الوطن العربي اول موطن للحياة والحضارة وميدان أنشط العمليات الاجتماعية حيث شهدت أرضه تفاعلا متواصلا بين الانسان والبيئة ادى الى ان يتكون بيئيا وفق سمات خاصة طبعت سكانه وتطورهم التاريخي ونشاطهم الحضاري . ولعل ابرزها طابع التنوع والوحده . لقد عبر سكان هذا الوطن عن حيويتهم التاريخيه بقفزات حضاريه متتالية اتسمت بالتواصل وبأن المتحقق منها يقود الى تحقق آخر على يد جيل جديد .

لقد امتزج النشاط الحضاري لسكان الوطن العربي بالمعتقدات الروحية ، فادى لان تكون عملية النضج الفلسفي والمحتوى الاجتماعي للتطور شيئا واحدا يشكل اضافة حضارية لا تتوقف عند حدود التامل ، فأصبحت هذه الازمة ، اضافه الى حيوية الفعل الحضاري .، تمتاز بخلق العقائد والتي كان آخر مراحلها المتحققة الاسلام .

غير ان هذا الوطن أصبح موضع صراع ، وشهد عمليات غزو واحتلال أدت الى تعطيل قدراته وافراغ تاريخه من جوهره واعادة ترتيب أوضاعه من خلال فلسفة التجزئه بحيث يصبح له دافع جديد غير واقعه الحقيقي .

لذلك يجدر في اية دراسة لتاريخ الامة العربية أن تتجه بشكل مغاير لكل الجهود المطروحة الآن في ميدان البحث التاريخي . لتقوم باعادة كشف تاريخ الامة بشكل يميز بين مرحلتين : مرحلة عبرت فيها الامة عن ارادتها وعاشت ذاتها المعطاءة الانسانية ، وبين مرحلة فرضت فيها على الامة ذات اخرى تختلف عنها وتناقضها، مرتكزة الى ارادة خارجية استخدمت كل صيغ المجابهة والتزييف والطمس والتخريب الثقافي والحضاري . كتابة تاريخية تكشف للامة أصالتها التاريخية وتعبئها في استيعاب روح العصر الحاضر بما يعنيه من تقدم علمي وازدهار ايديولوجي . ان هذه الكتابة في استلهامها (الاصالة) واستيعابها (المعاصرة) تعبر فقط عن الفهم الايديولوجي لحركة الثورة العربية فهما قوميا اشتراكيا ثوريا يطرح المجابهة الحضارية بمفهومها الشامل وتبرز المصادر الاساسية للخصوصية القومية (خاصية الوطن) و (خاصية الامة) و (خاصية الحركة التاريخية) .

ولعل أبرز المشاكل التي تواجهها كتابة التاريخ العربي ان الشائع من المعرفة التاريخية يعبر عن كل المواقف الا الموقف الخاص بالامة ، فقد تصدى لكتابته يوما ما المستشرقون . ورغم كل ما يقال عن طبيعة جهودهم فان مجرد بدئها مع حملة التبشير بالاحتلال الاوروبي يجعل تلك الجهود تبث مناخا غير عربي وتطلعات غير عربية . ثم تصدى مفكرون ومؤرخون

آخرون لكتابة التاريخ العربي منطلقين من اعتناق فكري وسياسي لا ينظر الى الامة نظرة داخلية نابعة من مخاضها. فاضحت جهوده هي الاخرى تبشيرية لمذهب يسعى لتجذير موقعه . اما الكتاب العرب فانهم بدأوا من حيث انتهى كلا الطرفين . فاصبحت استنتاجات اولئك الدارسين الاول مسلمات لديهم أبعدتهم أكثر عن تطور تاريخهم وعن اتجاه الفكرة التاريخية للامة . من هنا تصبح أية كتابة للتاريخ مشروطة باستكشاف التاريخ العربي والعودة الى منابعه الاساسية ودراستها واعادة تقييمها ، محكومة بالوعي و (بالاصالة) و (المعاصرة) . مدركة انها تتجه الى التاريخ توجه الامة المتحفزة . ويبلغ هذا الادراك نضجه التام في تحديد موقفه من حقبتين (الماضي) و (الحاضر) وصولا الى المستقبل .

ولا بد من تحديد بعض الاسس التي يمكن اعتمادها في كتابة تاريخ الامة العربية وهي :

١ ـ تحديد الفلسفة التي يمكن الاتكاء عليها في اعادة كتابة التاريخ . وتنحصر هذه الفلسفة في حدود تراث الامة الفكري والحضاري .

٢ ـ التأكيد على ان تاريخ الامة العربية لا ينحصر في تشكيل لجان مهمتها توزع المفردات ، وكأن المسألة انتهت . لان القضية لا تقف عند هذه الحدود بل تتعداها الى الالتزام بمنهج تاريخي محدد ضمن اطار تبرز فيه مكانة الامة ودورها في الحضارة الانسانية .

٣ ـ تغذية ورقة العمل بأبعاد جديدة . بحيث تشكل ورقة عمل قومية ، ثم تتسع لتستوعب أبعادها في مؤتمر عالمي .

٤ ـ ان ورقة عمل تاريخ الامة العربية يجب أن تستهدف ابراز كل المحاولات في مجالات المنهج وما يتعلق به ، والدعوة الى استقطاب جميع المهتمين من مستشرقين وعرب في هذا المجال .. اشارة الى التأكيد على ترسيخ اهتمام الجامعات العربية ، ودورها في هذه المحاولة .

٥ ـ الكتابة وفق منظور ورقة العمل الجديدة ، بحيث لا تطرح وتسود نظرات سائبة ، أو بمعنى آخر (المقولات) الضيقة التي ينظر من خلالها للحدث التاريخي .

٦ ـ ابراز القوى الفاعلة والمحركة في الحدث التاريخي . فقد سار في معالجات الاحداث التاريخية في التاريخ الاسلامي على كشف دور البطل . أي الخليفة هو المحرك للتاريخ .. مما أدى الى سيادة هذه النظرة التعسفية ، التي تغفل العناصر المحركة والتي تتحدد في (الامة) أو القوى الشعبية .

٧ ـ التأكيد على ابراز عوامل التخلف والاعاقة ، الى جانب عوامل الازدهار ، أي عملية الكشف للتقدم الذي ساد . وللانحسار الذي شاع .

٨ ـ التأكيد على ان التاريخ العربي انطبع بميزتين هما : مرحلة العطاء الحضاري ، ومرحلة الانكسار .. ومرحلة العطاء واضحة وتكشف عن ذاتها للعدو والصديق . غير ان الغموض يسود في تناول مرحلة الانكسار .. فالانكسار أو الانحسار قد تختاره الامة نتيجة الهجمة الشرسة من قوى استهدفتها ، وبالتالي يصبح الانحسار قدر الامة . تختاره وعاء وقتيا . تحافظ عن طريقه على البذور الحياتية للامة .

٩ ـ التأكيد على تحديد جهاز لغوي تاريخي يتميز بمفاهيمه وصيغه المحددة المعاني . لان دقة هذا الجهاز تؤدي الى دقة الكتابة التاريخية .

١٠ ـ ابراز (أثر) طبيعة . وظروف الوطن العربي في تحديد سمات حضارة الانسان في التاريخ القديم ، وابراز الهوية العربية في التاريخ العربي الاسلامي والحديث .

١١ ـ الاشارة الى ان المصادر التاريخية التي تناولت تاريخنا العربي قد سجلت الحوادث من زاوية خاصة .. وبالتالي يجب التسلح بنظرة فاحصة في الانتقاء وفي اشتقاق حقائق جديدة من المقدمات التي طرحها المؤرخ .. والتي حاول أن يخفيها لسبب أو لآخر .

١٢ ـ التأكيد والحرص على وحدة الشخصية العربية في خضم الصراع في عالمنا الراهن ، ومن أجل رفض كل (تغريب) للهوية العربية وتحديد سماتها الخاصة بها ، في أتون الصراع الهائل الذي تحدد في التقدم العلمي وسيادة التيارات الفكرية المعاصرة .

د. توفيق سلطان اليوزبكي

عميد كلية الاداب بجامعة الموصل

مفاهيم التاريخ في المرحلة القومية المعاصرة

د. زاهية قدورة

لا نكون مبالغين اذا ذهبنا الى القول ان كل ما يكتب اليوم في بلادنا يدخل بشكل أو بآخر في نطاق الكتابة التاريخية . ذلك ان المنطلق الرئيسي في الفكر العربي المعاصر هو منذ سنوات عدة : الصلة بين حاضرنا وماضينا ، ومحاولة رسم صورة لما ينبغي أن يكون عليه مستقبلنا القريب . وطبيعي أن يلعب الموقف الحاضر دورا رئيسيا في النظرة الى الماضي ، ذلك ان الضرورات اليومية والوطنية تواجه الفرد العربي باشكاليات ومصاعب تدفع به بشكل أو بآخر الى الاتكاء على الماضي الافضل التماسا للعزاء عن احباطات الحاضر ، أو التماسا لاسباب الفشل في الماضي ، واخيرا توجهها للفهم الموضوعي للظروف كلها بما فيها من ايجابيات يمكن أن تكون مفيدة في مجال استمرارية الامة العربية وعمق حجمها التاريخي وامكانياتها المستقبلية .

وأود منذ البداية أن أقول ان الموقف الثالث هو الاكثر اثمارا في واقعنا الراهن ، وهو في الوقت نفسه الاقل ظلما للحقيقة التاريخية . ولا شك ان كلا من الموقفين الاول والثاني يتجاهل أمرا اساسيا هو القيمة الذاتية للتراث العربي بغض النظر عن تدخله في الموقف الحاضر أو عدمه . ثم ان التراث العربي (١) الذي يجري استخدامه لصالح هذه النزعة أو تلك يجري قبل ذلك تطويعه وتقويله هذا الامر أو ذاك ، وهكذا فان اللجوء الى التراث العربي سلبا أو ايجابا هو لجوء الى صورة تاريخية متكونة في اذهان هؤلاء المستفيدين ، تتجاهل الحقيقة التاريخية وتتشبث بصورة تاريخية تعتبرها مفيدة لا متجاوزة القيمة الذاتية للتراث في الوقت الذي لا تتجاوز فيه ايضا حقائق التراث التاريخية .

ان التسجيل النظري القديم الذي قام به مؤرخونا للاحداث السابقة لهم أو المعاصرة قاموا به في ظل ظروف معينة سياسية أو اقتصادية واجتماعية . وما ينطبق على الكتابة التاريخية ، ينطبق ايضا على سائر مناحي النشاط النظري العربي في مختلف الفنون والتخصصات ، وهكذا فاننا عندما ننظر الى الانتاج النظري حول حدث من الاحداث التاريخية علينا أن نضع في اعتبارنا أمورا اربعة : الحدث نفسه ، والارضية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية للحدث ، ثم الانتاج النظري حول الحدث ، والظروف التي تم فيها الانتاج النظري في هذا الحدث . ومن الحق أن يقال ان بعض هذه الشروط تتحقق على الوجه الاكمل في كتابات العديد من المستشرقين ، ورجال المادية التاريخية ، والتقليديين ، لكن تم في اكثر الاحيان تجاهل متعمد أو غير متعمد لعدة أمور اضافية تتصل بالمرحلة الراهنة هي : شخصية الكاتب المعاصر وابعادها الايديولوجية ، وجوانب الموقف الراهن الذي يتم فيه الانتاج عن الماضي ، ثم الوثائق المتوفرة عن الحدث الماضي لدى الكاتب .

والواقع ان هذه الشروط المضافة هي التي تشكل المنزلقات الرئيسية بالنسبة للمعاصرين في الكتابة التاريخية عربا كانوا أم غير عرب . وعلى سبيل المثال فانه لا اعتراض لنا على دراسة ثورة الزنج من جانب مؤرخين كثيرين (٢) رغم ما في هذا الاهتمام من اصطناع احيانا ، لكن لهذا الاصطناع أسبابه التي توضح ما نعنيه بمنزلق استخدام التاريخ لاهداف سياسية واجتماعية حاضرة . فالليبراليون والمحافظون من المؤرخين توصلوا الى نتيجة مفادها ان ثورة الزنج كانت تآمرا صريحا على الدولة الاسلامية لصالح اهداف سرية معادية للاسلام والمسلمين ، هذا في حين اكد الليبراليون على ان الوسيلة القمعية التي استخدمت ضد الثورة لم تكن هي الحل الامثل . بينما ذهب اليساريون على اختلاف مشاربهم الى محاولة تفسيرها في نطاق « نمط الانتاج الآسيوي » (٣) باعتبارها ارهاصا بنهاية مرحلة المجتمع العبودي أو حتى بدايته ، مشددين على الطابع القمعي والجائر للدولة الاسلامية ونظام الخلافة .

وعندما نعلم ان هؤلاء جميعا استندوا (أو هكذا يفترض) الى تقرير رئيسي عن القضية ورد عند المؤرخ المعروف محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ) (٤) ندرك ان اختلاف التفسيرات للثورة المذكورة لا يعود الى اختلاف الوثائق المستخدمة بل الى اختلاف المنهج المستخدم

والمصلحة السياسية للكاتب عن ذلك. وما يقال عن « ثورة الزنج » يقال أيضا عن تمرد « بابك الخرمي » الذي راى فيه أحدهم (٥) انتفاضة وطنية للشعب الاذربيجاني ضد الاستعمار العربي الاسلامي . بينما راى فيه آخر ناصرا من جانب فئة صغيرة شريرة على العرب والمسلمين (٦) . وهناك تفسيرات معاصرة للتاريخ العربي الاسلامي تشمل كل ما هو تاريخي وهام في ماضينا مثل قيام نظام الخلافة (٧) ومقتل عثمان والصراع بين علي ومعاوية وعلي وعائشة (٨) ، وقيام الدولة العباسية (٩) ، وظهور الدويلات ، والصراع القوي بين المعتزلة والاشاعرة ، والشيعة والسنة ، والنضال ضد الغزو الصليبي والمغولي ، ثم قيام الدولة العثمانية : والعلاقة بينالعرب والترك، والعلاقة بين العرب والغرب. واشكاليات العلاقات الحديثة والمعاصرة مع الكتلتين .

ومع ان مقولتنا الاولى التي تدين الاتجاهين : التقديسي السلبي أو الذرائعي ، تعتبر تبسيطا أوليا لما يجري على ساحة الكتابة التاريخية ، لكن ذلك لا بد منه في الواقع مهما تجنبنا التبسيط ، لان الاتجاهات السائدة في الكتابة التاريخية عن ماضينا تنحل الى اتجاهين رئيسيين فعلا هما المذكوران سابقا. فالمتدينون والمحافظون يقدسون الماضي بكل ما فيه سعيا نحو عزائية صوفية هادئة أو املا في اعادة التاريخ حيا في واقعهم المعاصر . ولا ريب ان حديثهم عن عمر بن الخطاب أو عمر بن عبد العزيز ليس اكثر من « صورة تاريخية » صلتها بالواقع او الحدث التاريخي ضعيفة . وبالاضافة الىذلك فان هذه النزعة تتضمن تسطيحا للتاريخ وتحويلا له الى مجموعة من الاحداث المنعزلة التي يصلها خط النور الالهي التاريخي ، وتختفي فيها السمات الشخصية للافراد ، وخصوصيات المواقف التاريخية المختلفة . ولو ذهبنا نقرأ ما كتبه محمد الخضري (١٠) وحتى عبد الحمبد العبادي (١١) ومحمد حسين هيكل (١٢) عن عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز لما استطعنا التمييز بينهما لو حذفت العناوين .

ورغم ان اكثر الذين يكتبون اليوم عن تاريخنا ويقومون بالتدريس في جامعاتنا خريجو جامعات غربية متقدمة ، الا انهم رغم ذلك ـ او من اجل ذلك ـ ما يزالون ـ اذا تجاوزنا الشكل الظاهر ـ يدورون في قالب المقولات التقليدية الناتجة عن نظرة متخلفة الى الكتابة التاريخية ماهية ووظيفية واساليب . حتى أولئك الذين يدينون التراث بشكل او بآخر لا يتخطون الاسلوب الهجائي الذي لا يقوم على معطيات موجودة تاريخيا بقدر ما يقوم على صورة ذهنية عن الماضي والحاضر والمستقبل تستمد عناصرها من نوازع شخصية أو فهم خاطىء لقضية العلاقة بين حاضر الامة وماضيها .

ولكي يكون الامر واضحا تماما سنتعرض هنا لمنهجين ما يزالان يسودان الكتابة التاريخية عندنا ، بل ان احدهما ساهم في نشأة تصورات معينة لدينا نحن ولدى الدارسين عن التاريخ العربي كله . المنهج الاول هو ما يمكن تسميته بمنهج المستشرقين ، والمنهج الثاني هو منهج الماديين التاريخيين الذي كثر الانتاج في نطاقه في السنوات الاخيرة .

وقد نكون غير دقيقين اذا اعتبرنا « المستشرقين » فئة واحدة ذاتمصالح واحدة واتباع منهج واحد (١٣) . لكن ما لا شك فيه ان الدوافع الاولى للاستشراق القديم في أوروبا واحدة . فكما ذكر المؤرخ والمستشرق الالماني « فك » ، كانت البدايات الاولى للاستشراق مع ازدياد الاهتمام الاوروبي بالشرق (١٤) . وبالتالي زيادة المصالح الغربية فيه . وهكذا كانت مهمة المستشرقين الاوائل جمع أكبر قدر من المعلومات عن مواطن المصلحة في الشرق سعيا وراء تنمية هذه المصالح ورعايتها . وفي هذا السياق جاء اسهام المستشرقين البريطانيين في استعمار الهند، والهولنديين فياستعمار اندونيسيا (١٥) .. لكن مصالح الدول الاوروبية في الشرق لم تكن متوازية أو متماثلة . كما ان الصراعات فيما بينها كانت تحدث تفاوتا في الادوار ، لذلك فقد كان موقف المستشرقين الالمان اقل مباشرة في علاقاتهم بالدولة العثمانية ، اذ ان الدولة الالمانية الجديدة التي انشئت عام ١٨٧٠ م كانت تريد عبر السلطنة ان تضرب المصالح الانكليزية والفرنسية في الشرق . بالاضافة الى ذلك دخلت اعتبارات دينية في الموضوع لم ترتبط دائما بمشروعات سياسية محددة . فقد اهتم دارسو العهد القديم من الالمان والاميركان بالتعرف على الديار المقدسة والادب العربي سعيا نحو فهم أدق للانجيل بقسميه . هذا فيالوقت الذي كانفيه دوتي الرحالة الانكليزي (١٧) وهاليفي الفرنسي (١٨) ، يمهدان لدخول بريطاني وفرنسي الى أطراف الجزيرة العربية من وراء ظهر الدولة العثمانية .

وسار الامران بشكل متواز ، بل كانا يختلطان في كثير من الاحيان كما في شخصية ماسينيون الفرنسي (١٩) وهورغرونيه الهنولندي (٢٠) وبيستون الانكليزي (٢١) وبيكر الالماني (٢٢) . وانفرد الالمان من بين المستشرقين تقريبا بالاقبال على نشر كتب التراث العربية الضخمة، فقد نشر ديغوبه (٢٣) وفستنفلد (٢٤) ونولدكه (٢٥) وفلهاوزن (٢٦) نصوصا ودراسات كثيرة اضاءت نواح في تاريخنا وفكرنا كانت ما تزال في زوايا الغموض والنسيان . لكن بيكر الالماني الذي كان بين أول المهتمين بالنظام الاداري للدولة العربية الاسلامية والخلفيات الاقتصادية والاجتماعية للنظام السياسي كان بين المخططين للمصالح الالمانية في الشرق ، ثم صار وزيرا للثقافة والانباء بعد الحرب الاولى (٢٧) . وقد

انهت الحرب الاولى المصالح الالمانية في الشرق فأعادت الاستشراق الالماني الـــى منطلقاته الاولى ذات الطابع الاكاديمي البحت ، هذا اذا تجاوزنا مؤقتا محدوديـــة آفاق المنهج الفيلولوجي الذي كان مسيطرا على هـــذا الاستشراق من ناحيـــة ثم اضطرار بعض المستشرقين الالمان الى مجاراة النظام الفاشي وأفكاره عن الشرق في فترة الحكم النازي بألمانيا (٢٨) .

لكن في الوقت الذي كان فيـه الاستشراق الالماني يعيد البحث عن نفسه بعد ضربة الحرب الاولـى كـان الاستشراق الاميركي يتقدم وينمو مـع مصالح الشركات الاميركية في الشرق ، ومع فرار مستشرقين المان كبار من أصل يهودي الى الولايات المتحدة عند صعود النازي الى سدة السلطة . ويمكننا كتاب الاستاذ ادوار سعيد الاخير من تتبع مراحل الاستشراق المذكور واتجاهاتـــه الحاضرة خصوصا بعد قيام اسرائيل في وطننا العربـي واشتداد ساعد الحركة الصهيونية في الغرب والولايات المتحدة والشرق الاوسط .

والواقع انـه فيما يتصل بالمستشرقين الفرنسيين والانكليز (وكثير منهم ذو أصول يهودية) أضيفت الـى ازدواجية شخصياتهم (كأكاديميين ومتعاونين معالانظمة والقضايا الشرقية) أبعاد جديدة تتضمن ولاء لاسرائيل أيضا أو لحركة الصهيونية على الاقل . وتبرز في هـــذا النطـــاق شخصيات شاخت وغرينباوم وغويتاين فـي الولاياتالمتحدة ، ورودنسون في فرنسا ، وبرنارد لويس في بريطانيا . فقد انعكست صهيونية هؤلاء جميعا ـ وقد سادوا الاستشراق في الولايات المتحدة وبريطانيا حتـى الستينات ـ على أبحاثهم حتى في النطـــاق التاريخي البحت . وقد حـــاول كلّ من العروي وغران وادوار سعيد تحليل ظاهرة غرينباوم ، في حين حظيت كتابات برنارد لويس بدراسة دقيقة من جانب ادوار سعيد في نطاق عمله الضخم عن الاستشراق .

والآن ، ماذا عن منهج أو مناهج المستشرقين هؤلاء ؟ في محـــال الاستشراق الالماني سيطر المنهج الفيلولوجي الذي يقوم على تشريح دقيق للواقعة التاريخية في كافة الجوانب ، لكن الواقعة التاريخية تبحث في شكل منعزل عن تتابع الاحداث أو عـــن السياق البيئي (٢٩) . فاذا جرى البحث في أسباب ظاهرة من الظواهر في نطـاق التاريخ الاسلامي فان مقارنات خادعة ذات طبيعة لغويـة لفظية بحتة كانت تعقد للتدليل على الاصول غير العربية لهذا الامر أو لذاك . ومع ان ذلك يمكن اعادته جزئيا الى قصور المنهج الفيلولوجي رغم دقته الظاهرة فلا شك ان الايديولوجيات العنصرية والحضارية التي انتشرت فـي أوروبا أواخر القرن التاسع عشر تركت آثارا «واضحة» في دراسات المستشرقين ، هذا بالاضافة الى طبيعـــة ثقافتهم في أوروبا الامبريالية الصاعدة ، واهتماماتهم التي لا تكاد تنتهي بالعهد القـــديم بحكم بروتستانتيتهم المتشددة .

اما على الجانب الآخر فقد ركز مستشرقو فرنسا وانكلترا ثم اميركا دراساتهم في مجالين : مجال جمـع المعلومات والرحلات في الاقطـــار الشرقية ، والاهتمام بالابحاث التاريخية ذات المغزى الحضاري الشامل . وفي هذين النطاقين كان يجري القاء الضوء على ظواهر جانبية وتكبيرها وتجسيمها بحيث تتراجـــع أمامها المجالات الاخرى جميعا ، وذلك مثل التصوف والاصول اليونانية للفلسفة العربيـــة ، ثم التخلف القـــاتل للمسلمين الشرقيين (٣٠) . في هـــذه الناحية حدثت الصدامات بينهم وبين الافغاني وعبده ورشيد رضا (٣١) دون أن يثمر النقاش شيئا ايجابيا ، لان المستشرقين هؤلاء لـم يكونوا يكتبون رأيا علميا مطروحا للنقاش بل يشاركون في رسم توجهات دولهم تجاه الشرق العربـي والاسلامي . وتتضح فضيحة هـــذا الاتجاه في ذراه عند غرينباوم ولويس حيث تجري مداورات ومغالطات طويلة ليقال في النهاية ان الاسلام رجعي ومتخلف بطبيعته ، وان تخلف الشرق راجع اليه والى عدم قبوله بالتالي للحضـــارة الغربية ، وهكذا فتخلفه ابدي وآمال التقـدم ضعيفـة بل معدومة (*) .

ولا يخلو الامر من بعض ذوي النوايا الحسنة مـن الغربيين غير الاكاديميين الـــذين يتجاوزون تدقيـق الفيلولوجيين ويدينـــون لاعلمية مستشرقي الصهاينـة والمركزية الاوروبية ، لكن هؤلاء يعودون بدورهم للوقـــوع فـــي أسر تقريظية مسرفة تفقـــد ايجابيتهم قيمتها وتاريخيتها .

ان تصحيح العلاقة بين الشرق والغرب هو الشرط الضروري والاول لبروز استشراق اكثر موضوعية ، وما لم يحدث ذلك فان جهود بعض عمالقـــة المستشرقيـن الموضوعيين ستبقى فردية ومشوبة بالمخاطر .

قلنا ان الاتجاه المادي التاريخي في الكتابة التراثية عندنا لقي أرضية واسعة خلال السنوات الاخيرة ، ورغم السذاجة الظاهرة التي برزت في أعمال من هذا الاتجاه مثل « اليمين واليسار في الاسلام » لاحمد عباس صالح، و « ابن خلدون : رجل في القاهرة » لرشدي صالـــح ، لكن مزيدا من الدارسين العرب يتجه تدريجيا في اتجاه تفسيرات مادية للتراث . ايجابية هذا الاتجاه تكمن في مقابل لاتاريخية الاتجاه المتراجع ، كما تكمن في محاولته فهم الحدث من كافة الجوانب بشكل جزئي ودقيق ، هذا وان كان التركيز ينصب على النواحي الاقتصاديـة في الغالب . وهكذا فان ثورة كثـــورة صاحب الزنج ،

(*) قارن بدراسات العروي عن غرينباوم ودراسات ادوار سعيـد عن برنارد لويس .

وتمردا كتمرد المرجئة في خراسان ؛ لا يظلان ظاهرتين غامضتين معلقتين بالمذهب الديني لهذا الرجل او ذاك . انا نعلم ان المرجئة (٣٣) الذين كانوا حزبا سياسيا دينيا انما انتصروا للاسلام في تمردهم لا لانه دين فقط بل لدعوته الى المساواة بين المسلمين سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، ولانه يرفع بالتالي الاضطهاد عن الموالي الذين دخلوا في الاسلام وتربوا في أحضانه . فاذا علمنا بالاضافة الى ذلك ان مادة هذا التمرد كانوا من العرب الذين عاشوا في خراسان وامتزجوا بالسكان المحليين امكننا ان نفهم خلفية الحركة العباسية التي قامت على نفس الاسس ، أسس التحالف بين العرب المبتعدين عن القرار السياسي والرفاه الاقتصادي في خراسان ، والفرس من الفلاحين ومثقفي الموالي ممن تعربوا منذ فترة (٣٤) .

ما دام الامر محصورا في فهم حركة ما في نطاق أصولها السياسية والاجتماعية . لا نلحظ قصورا واضحا في تبين هذا الامر أو ذاك من قبل الماديين التاريخيين ، هذا اذا تجاوزنا تغافلهم عن دور الايديولوجية الدينية في جانبها الايجابي في العصور الوسطى الاسلامية .

لكن القضية لا تبقى على نفس المستوى من الوضوح والدقة عندما يحاول المستشرق الماركسي أو المتمركس العربي أن يقدم دراسة تغطي مساحة واسعة زمنيا . هنا يتدخل التزامه الفكري فيفرض عليه التحرك في نطاق « نمط الانتاج الآسيوي » (٣٥) ونطاق مراحل التطور الاجتماعي المعروفة عند الماديين الجدليين . بل اننا نستطيع المضي ابعد من ذلك لنقول ان اكثر الدراسات التي جرت حتى الآن من منطلق المادية التاريخية في رأينا كانت تهدف الى اثبات صدق الاشكال الايديولوجية الماركسية اكثر مما كانت تريد انماء علاقتنا بتاريخنا والاسهام في فهم مضامينه بشكل أكثر علمية وموضوعية . ونحن نملك على ذلك أكثر من دليل ، فلماذا هذا الاهتمام بالبابكية والخرمية وثورة الزنج والقرامطة ؟ لقد ظل هؤلاء جميعا أقليات معزولة بينما بقيت جماهير الاكثرية بعيدة عن افكار هؤلاء وأسباب سخطهم وتمردهم . هذه الاكثرية هي التي صنعت التاريخ وما تزال . ولقد كان لها مثقفوها ولها تمرداتها وثوراتها ولها أفراحها وأحزانها ، ولها تناقضاتها الداخلية ، فأين هو الجهد المصبوب لفهم ذلك كله ؟ بدلا من هذا تجري الكتابة طوال الوقت عن ثورة صاحب الزنج للقول في النهاية أن هذه الثورة كانت بداية لمرحلة المجتمع العبودي أو نهاية له وبداية للمجتمع الاقطاعي . انه لما له دلالته أن يكون أول من كتب عن الحركات الشعبية في بغداد (حركات الاكثرية) ليس ماركسيا (٣٦) بل مستشرق فرنسي يعتبر معتدلا نسبيا في الظاهر .

وواضح ما لهذا الاتجاه التبشيري من سيئات في مجال كتابة التاريخ . ذلك انه عندما يريد أحدنا أن يدلل على فكرة واضحة مسبقة في ذهنه فان الواقعة التاريخية لا تريحه بل تزعجه ، الا اذا دار حولها أو فسرها تفسيرا قسريا بما يتفق وهدفه . لكن القضية لا تبقى في هذه الحدود . فكثير من الكتاب في هذا الاتجاه لا يريدون تدليلا تاريخيا على صحة النظرية الماركسية وشمولها فقط . بل يريدون خدمة أهداف سياسية واجتماعية حاضرة . كثيرا ما نسمع القائلين : « علينا ان لا ندع تاريخنا في يد الرجعيين واليمينيين التقليديين » . ونسمع أيضا : « دراستنا للتراث تستهدف الحاضر ، تستهدف النضال اليومي للحركة التحررية العربية » . ولو كان ذلك يعني محاولة فهم جذور المشاكل المعاصرة في وطننا العربي من خلال دراسة تاريخية لها لكان أمرا مشروعا ، لكن القارىء للدراسات من هذا النوع يلاحظ هذا الاتجاه الى التأكيد على تفسير الحاضر بالحاضر ، واستخدام الماضي لتبرير الحاضر أو ادانته او الاستتار به .

وتتفرع على ذلك عيوب شكلية ومنهجية وفردية تجعل من هذا الاتجاه في تفسير التاريخ العربي الاسلامي سلبيا في مجمله . فمعظم الذين يمارسون هذا المنهج حتى الآن لا يعرفون الماركسية جيدا أو لا يعرفون التراث جيدا أو هما معا . والا فما معنى تسمية البابكية ثورة من جانب « الشعب » الاذربيجاني على الخلافة الجائرة ؟ وهل كان هناك بالمقاييس الماركسية شعب أذربيجاني بالمعنى المعروف للشعب ؟ ثم ما معنى القول ان الفارابي كان ثوريا ولصالح المسحوقين ؟ وما معنى القول ان تاريخ الامم والملوك و « كتاب الاموال » مجهول المؤلف ؟ ان كثيرا من هذه الدراسات تفتقر الى أبسط الادوات المنهجية .. أوليات معرفة الموضوع الذي يكتب عنه الباحث .

وعلى محاولة تعميم النظرية الماركسية تتفرع عيوب منهجية متضامنة (٣٧) ، وهي حرق المراحل ودراسة التراث العربي كله مرحلة واحدة . رغم عدم توفر الادوات المنهجية ، وخروج ذلك على طاقة الفرد بل الجماعات في هذه المرحلة ؛ لكن هموما جانبية مثل اثبات النظرية وقطع الطريق على التقليديين والمستشرقين هي التي تفرض مثل هذا النهج .

لقد درسنا نموذجين من نماذج دراسة الفكر العربي التاريخي واعتبرناهما غير علميين رغم اختلافهما في الجوهر . لكن : ما هو البديل ؟ لقد أصبح النهج التقليدي عاجزا ، كما ان النهج الاستشراقي والتفسير المادي للتاريخ لم يقدما حتى الآن الا نماذج سلبية . في ظل هذين الاعتبارين ، وظل ظروف المرحلة القومية المعاصرة ؛ لا ندعي اننا نملك تصورا متكاملا ، لكننا نملك

معالم رئيسية نابعة من التوجه النقدي للنهجين الآخرين، ومن الادراك العميق لطبيعة المرحلة الراهنة .

اتقدم بالاقتراحات التالية :

١ ـ الانطلاق من موضوعية الحقيقة التاريخية والتحدث التاريخي ، ومحاورة تاريخنا هذا ، لان ذلك في تصوري يشكل جوهر العلاقة بيننا وبين تراثنا .

ويتضمن هذا المبدأ اصغاء تاما لنداءات الوثائق التاريخية ودراستها في نطاق عصرها ، وظروفها ، ونشأتها ، وموقعها الاجتماعي والسياسي والتاريخي ، لينصب ذلك كله في النهاية في خدمة موضوعية الحقيقة التاريخية والقاء الاضواء عليها ، لا لشيء الا لان الحياة المعاصرة العربية السوية في تلك التي تقوم على اساس حقائق تاريخية لا صور وأوهام ايديولوجية تلبس لباس التاريخ .

٢ ـ الانطلاق من عدم وجود انقطاع في حياة الامة العربية الاسلامية من الناحية التاريخية ، ومن الضروري دراسة التاريخ كوحدة متماسكة بجوانبه المتعددة : سياسية وادارية واجتماعية واقتصادية وفكرية في آن واحد لكل فترة من الفترات ، على أن تكون هذه الدراسة شاملة جميع طبقات الشعب ، ونمط حياتهم ودورهم في المجتمع .

اذ ان هناك جوانب كثيرة من تاريخنا لم تستكمل بعد ، ولم تكشف الحقيقة عنها .

هذا بالاضافة الى ضرورة دراسة تاريخ الغرب ، والمقارنة بينه وبين تاريخنا العربي .

٣ ـ الاهتمام بدراسة الحضارة العربية في جميع مجالاتها وانجازاتها لا التركيز على الناحية السياسية : فذلك يفقد التاريخ العربي جوهره ، ويعطل دوره . اذ ان الحضارة العربية الاسلامية التي لها سمات الحضارة الشاملة المتكاملة والتي ما تزال مستمرة حتى اليوم في محيطنا تملك منطقها الخاص ، وقيمتها الذاتية في المرتكزات الفكرية ، وفي فهم العالم وفي التعامل معه . ولكي يمكن استيعاب مداولات هذه الحضارة ، ومستنداتها وروحها ، لا بد من الانطلاق من منطقها الخاص والداخلي ، وذلك يجنبنا مخاطر اللجوء الى مفاهيم ومنطلقات من خارج نطاق الحضارة التي ندرسها ، ويجنبنا بالتالي الوقوع في أخطاء بعض المستشرقين والماديين التاريخيين .

وعلينا هنا أيضا أن نبين للعالم دور الحضارة العربية في تطور الحضارة الانسانية . وهذا ضروري بالنسبة لتعاملنا مع الغرب .

٤ ـ وعلينا أن نبرز أو نركز على المقومات والاتجاهات القومية والوحدوية بالذات . فالموضوعية والنزاهة لا يتنافيان أبدا مع قومية التاريخ ، لكن يحتاجان الى عقول عربية تتسم بالعلم والتجرد والصبر والدقة ، وقلوب عربية تمتاز برهافة الحس ، وصفاء الاتجاهات ، تلتمس جذور الحقيقة والنظر الى ابعادها ، ثم التركيز على مقومات القومية العربية ، وعناصر الوحدة ، لان القومية والوحدة هما الاطار الوطني الذي يصهر أبناء الامة على مختلف طوائفهم ومذاهبهم في بوتقة واحدة ، فلا يعود هناك من مجال فيه للعنصرية والطائفية .

ولو فعلنا ذلك لوفرنا على أنفسنا اثارة الدعوات المشبوهة المزيفة ومخاطر التجزئة والطائفية والاقليمية، والعنصرية ، والانعزالية ، والتعددية ، وتحركات الاقليات .. كما يجري الآن في لبنان مثلا .

٥ ـ كما علينا أن ندرس بعمق وتحليل العوامل الاجتماعية والفكرية والنفسية والاقتصادية والسياسية التي دفعت الى التجزئة وتمزيق كيان الامة ، ولا نغفل انه كان للاستعمار اليد الاولى ، والطولى ، في ذلك . وقد فعل ذلك في صور وأساليب مختلفة ، تجارية ، واقتصادية ، وثقافية ، ودينية ، ثم في حملات وحروب استعمارية سافرة ، وفي تحالفات ومعاهدات مشبوهة.

٦ ـ أقترح اقامة مؤتمر عام ١٩٨٠ ، اذا أمكن ، أو عام ١٩٨١ ، على الاكثر ، يكون موضوعه « الوطن العربي بين الوحدة والتجزئة » ، فيدرس مقومات الوحدة وايجابياتها ، وما تعود به على الامة والوطن ، كما يدرس مخاطر التجزئة وأسبابها ، وما أدت وما يمكن أن تؤدي اليه بعد ، المزيد من الانعكاسات السلبية على الوطن العربي .

واشدد هنا أن تكون هذه الدراسات ، مبنية على أبحاث موثقة رصينة وجدية ، وعلمية .

٧ ـ اختيار لجنة عربية عليا ، معترف بها رسميا ، وممولة من الدول العربية ، تكون مهمتها انشاء « مركز التراث العربي » أو « مؤسسة التراث العربي » . تقوم بوضع برنامج عمل ، عبر لجان متخصصة ، فنية ، ادارية ، ومالية ، ثم تقيم الحلقات والندوات لدراسة هذا البرنامج ، ثم العمل على تنفيذ « كتابة تاريخ الامة العربية » .

الهوامش

١ ـ قارن بعدد فبراير من مجلة الطريق اللبنانية (١٩٧٩) حيث يبرز الدكتور احسان هذا المعنى بوضوح .

٢ ـ منهج بندلي جوزي وبوبوفتش وفيصل السامر وأحمد علبي ونزيه أبو نضال .

٣ ـ قارن بمحاولتي جوزي وعلبي على سبيل المثال .

٤ ـ تاريخ الامم والملوك (ط. لايدن ـ دي غويه) ٤ / ٨١٦ ـ ٨٥٦ .

٥ ـ حسين قاسم العزيز في « البابكية » (١٩٧١) .

٦ ــ د. فاروق عمر في مجلة « آفاق عربية » العراقيـــة (تمــوز ١٩٧٧) .

٧ ــ أحمد عباس صالح : اليمين واليسار في الاســـلام ، ٢٦ ، (مؤسسة الدراسات ١٩٧١) .

٨ ــ نبيه عاقل : الامويون ، ٤٨ ، (دمشق ١٩٦٨) .

٩ ــ « قيام الدولة العباسية » (بالالمانية ، ١٩٧٠) ١٧ ــ ٢٨ .

١٠ ــ الخلفاء الراشدون (١٩٤٦) .

١١ ــ الخلافة الراشدة (١٩٣٨) .

١٢ ــ حياة محمد ، حياة أبي بكر ، الفاروق .

١٣ ــ قارن بيوهان فك : الدراسات العربية في أوروبا (بالالمانية) ١٦ ــ ١٩ .

١٤ ــ الدراسات العربية ٨ ــ ٩ .

١٥ ــ قيصر مخول : الاسلام في اندونيسيا ، ٩٨ (الرائد العربي ، ١٩٦٩) .

١٦ ــ أولمان : دراسة العهد القديم من جانب المستشرقين (بالالمانية) ١ / ٦٧ (١٩٧٢) .

١٧ ــ قارن برحلته (مقدمة) ٦ ــ ٩ .

١٨ ــ فيسمان : اكتشاف الجزيرة (بالانكليزية) ٤٧ ــ ٤٩ (١٩٦٥) .

١٩ ــ قارن عنه مالك بن نبي في مذكرات شاهد القرن، ٩٨ (١٩٦٤) .

٢٠ ــ قارن عنه : الدراسات العربية لـ « فك » ، ٢٢٧ ــ ٢٢٨ .

٢١ ــ قارن عنه المستشرقون لعقيقي ، ٢١٦ .

٢٢ ــ قارن عنه مجلة فكر وفن (م ٩ ، ١٩٦٤) .

٢٣ ــ قارن بالدراسات العربية في المانيا لبارت (ترجمة مصطفى ماهر) ٤٧ ــ ٥٠ .

٢٤ ــ الدراسات العربية لفك ، ٣٦ ــ ٣٨ .

٢٥ ــ مجلة جمعية المستشرقين الالمان / م ٤٦ (١٩٢٥) ، ٨٧ ــ ٩٩ .

٢٦ ــ مجلة جمعية المستشرقين الالمان / م ٤٨ (١٩٢٧) ، ٣٦ ــ ٣٩ .

٢٢ ــ قارن هامش رقم ٢٢ .

٢٨ ــ عن المستشرقين الالمان والنازي قارن ، هولدر ، المستشرقـون الالمان (بالالمانية) ٨٨ ــ ٩١ .

٢٩ ــ قارن بنقد المستشرق الشاب ثبت لمناهج المستشرقيـــن الالمان في « الاستشراق ، مفاهيمه وحـــــدوده » (بالانكليزية) ، ١٨ ــ ٥٧ .

٣٠ ــ قارن بـ « الاستشراق » لادوار سعيد (١٩٧٧) ، ٤٦ ــ ٥٧ .

٣١ ــ د. فهمي جدعان : أسس التقدم عن مفكـــري عصر النهضـــة (١٩٧٩) ص ٢١١ ــ ٢٤٧ .

٣٢ ــ مثل جوستاف لوبون وزيجريد هونكه .

٣٣ ــ قارن عنهم دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الثانية) ، مادة « ارجاء » .

٣٤ ــ قارن بدراسة فاروق عمر عن « طبيعة الدعوة العباسية » .

٣٥ ــ قارن بمحاولات تجدد في هذا النطاق ، الدراسات التـــي ترجمها جورج طرابيشي بعنوان « نمط الانتاج الاسيوي » .

٣٦ ــ هو كلود كاهن .

٣٧ ــ في « من التراث الى الثورة » و « النزعات المادية » .

فكرة اولية حول كتابة تاريخنا

الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل

الاستاذ المساعد بقسم التاريخ بكلية العلوم الاجتماعية

الامين العام لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

الريــــاض

لكي نصل الى هذا الهدف او نقترب منه علينا ان نتعرف عـــلى الظروف التي كتب في ظلها تاريخ أمتنـــا العربيـــة الاسلامية . وأهم العـــوامل التي ابتعدت بتاريخنا العربي الاسلامي عـــن الاسلوب العلمي والروح الموضوعية . ثم بعد ذلك نحاول أن نتلمس الطريق وصولا الى الغاية التي ننشدها :

أولا ــ بدأت كتابة تاريخ الامـــة العربية المسلمـــة وتطورت في ظل الظروف والعوامل الآتية :

* سيطرة العناصر غير العربية على الحكم .
* اقصاء العناصر العربية عن الحكم .
* اسقاط العرب من ديوان الجند .
* النزعة الشعوبية التي اتصف بها كثير ممـــن تصدى لرواية التاريخ وكتابته .
* النزعة المذهبية بين المذاهب والفرق والطوائف .
* العناية بتكثير المادة التاريخية وتكرار الروايات دون الاهتمام بنقدها او تحليلها .

ولايضاح هذه الافكار ننتقل من الاجمال الى شيء من التفصيل فنقول :

قامت الدولة الاسلامية في عهد الرسول عليـــه الصلاة والسلام على اسس قوية من الروابط الدينية ، فجمعت العرب بعد الفرقة ووحدتهم بعـــد الاختلاف . وجاءت الخلافة الاسلامية مؤكدة هذه الوحدة ومتممـــة لبنائها مما هيأ الفرص امام العرب المسلمين للاندفـــاع خـــارج جزيرتهم فاتحين وناشرين مبـــادىء دعوتهم الاسلامية ، فأسسوا ــ مـــع اخوانهم المسلمين من غير العرب ــ دولة اسلامية امتدت أطرافها من وسط آسيـــا الى غرب أوروبا ، وقامت هـــــذه الدولة على أراضي شعوب وأمم لها ديانات ونحل وحضارات مختلفة ، الا ان الاسلام استطاع ان يؤلف بين شعوب هذه البلاد في وحدة لم يعرف لها نظير في التاريخ ، مما اثار الحقد والكراهية في نفوس أعداء الاسلام ممن فقدوا مكانتهـــم الدينية ومراكزهم السياسية والاجتماعية مـــن أصحاب

الديانات والملل السابقة . ولما كانوا ـ في ذلك العصر ـ لا يستطيعون القيام بأي عمـل عسكري يحاربون به الاسلام ، لضعفهم ولقوة الامة الاسلامية ، فقد تظاهروا بالدخول في الاسلام لا ايمانا به كـدين ، ولا رغبة في اعتناقه كمبدأ . ولكنهم استهدفوا الكيد له والدس عليه ليقللوا من شانه في نفوس ابنـائه ، وليفرقوا الامة الاسلامية . وبالتالي ليقضوا على دولة الاسلام التي قضت على دولهم وافقدتهم النفوذ والسلطة .

ومن هنا ظهرت الفرق التي حاول أصحابها مسخ الاسلام وتشويه تاريخ الامة العربية . ومن ناحية أخرى فقد اشترك في كتابة تاريخ الامة العربية الاسلامية في كثير من مراحلها اناس ليسوا من العرب وليسوا من المسلمين ، بل ويحملون كراهية عميقة لهذه الامة ، وقد تعمد هؤلاء ان يدسوا عـلى تاريخنا الكثير من الافكار المغرضـة والاحداث والوقائع البعيدة عـن الحقيقة التاريخية . ففي مرحلة مبكرة لعب بعض اليهود الذين أظهروا اعتناقهم للاسلام دورا مخربـا في كتابة تـاريخ العصر الذهبي للاسلام وأدخلوا فيه الكثير مـن التزييف والتضليل .

وصاحب تدوين التـاريخ في العصر العباسي استعانة الخلفاء في الحكم وادارة شؤون الدولة بعناصر من الفرس والاتراك والديلم ، وقد حاول المؤرخون فـي كتاباتهم الرفع من شأن هؤلاء والاشادة بأمجادهم ، وفي المقابل انتقاص العرب والحط من شأنهم . ولقد كنا نظن، عندما سجل هؤلاء تاريخ العرب قبل الاسلام وحطوا من قدرهم ووصفوهم بأدنى الصفات ، انهم يقصدون اظهار فضل الاسلام على العرب ، لكن ظـاهرة ازدراء العرب واحتقارهم استمرت واضحة في كتابة كثير من المؤرخين التي تجسدت في الشعوبية ، واضافت المزيد من التشويه والتحريف الى تاريخ أمتنا .

وفي فترة لاحقـة كتب تاريخ امتنا في الشرق والغرب بأقلام معظم أصحابها ليسوا من العرب وليسوا من المسلمين ، تلك هي فتـرة الحروب الصليبية فـي الشرق الاسلامى وفترة المد النصرانى على حساب الامة الاسلاميـة في الاندلس والمغرب ، ثم ظهـور حركة الاستشراق التي حاول المستشرقون من خلالها تشويـه تاريخ الامة العربية بالتزييف والتلفيق ومحاولة الطعن في الاسلام والحط من حضارة العرب وثقافتهم .

ويضاف الى العوامل السالفة افتقار تاريخنا الـى منهج البحث التاريخي ـ بصفة عامـة ـ ونقص الوثائق التي تمثل أهم الروافد لكتابة التاريخ ، وغيـاب المؤرخ المحلل الناقد المتجرد ، فمعظم مصادرنا التاريخية تعنى بتكثير المـادة التاريخية وحشد المعلومات وبالاسلوب السردي دون العناية بغربلة هـذه المعلومات ونخلها ، والوقوف امام جيدها ورديئها وقفة الفـاحص المحلل ، كما أن كثيرا من هؤلاء المؤرخين صبغـوا كتاباتهم باللون المذهبي أو السياسي الذي كانوا يعتنقونه أو يدورون في فلكه مما أبعد كتاباتهم عن الروح الموضوعية .

هذه العوامل ، هي ـ في نظري ـ عيب يتعين معه اعادة كتابة تاريخنا بأسلوب علمي موضوعي ، وهي وان تكن مهمة شاقة الا انها في الوقت نفسه هـدف نبيل يجب بذل المساعي لتحقيقه أو قطـع خطوات في طريق الوصول اليه .

ثانيا ـ هنـاك بعض الاسس والاقتراحات لتحقيق الهدف المنشود . ومن بينها اقتراح تأليف لجان علميـه مكونة من عدد كبير من العلماء والمؤرخين ذوي الكفايات العالية في فهم وكتابة التاريخ تأخذ عـلى عاتقها اعادة كتابة تاريخ الامةالعربية الاسلامية وتعنى ـ على الاخص ـ بمـا يأتي :

١ ـ غربلة الروايات والمعلومات التاريخية ونخلهـا ووزنها بمعايير مناهج البحث العلمي التاريخي .

٢ ـ تقويم مصادرنا التاريخية بدراستها دراسـة نقدية تضع كل مصدر في مكانه العلمي الصحيح وتوضح مدى الثقة فيه والاعتماد عليه .

٣ ـ نشر المخطوطات التي لهـا صلة بتاريخنـا والموزعة في عديد من المكتبات والمتاحف في مختلف انحاء العـالم .

٤ ـ نشر الوثائق التي ترتبط بتاريخنا تبعا للعصور المختلفـة .

٥ ـ الاهتمام باصدار سلسلة من الدراسات عـن النقوش والكتابات الاثرية والنقود الاسلامية العربية .

٦ ـ اعداد سلسلة مـن البحوث ونشرها عـن المستشرقين ومؤلفاتهم تتضمن دراسة تحليلية نقديـة تقوّم فيها هذه المؤلفات مـن حيث الموضوعية والامانـة العلميـة .

فلسفة قومية وحدوية . . .

د. تيسير الناشف

الامم المتحدة ، نيويورك

ترمي السطور التالية الى بسط عدد مـن النقاط المتصلة بموضوع مؤتمر تاريخ الامة العربية .

في كتاباتنا التاريخية العلمية (شأننا في ذلك شأن كتاباتنا الاجتماعية العلمية الاخرى) ينبغي هجر الاسلوب الادبي وتوخي الاسلوب العلمي . وفي تناولنا لاعادة كتابة تاريخ الامة العربية يتعين علينا أن نحدد تحديدا أقصى المصطلحات الاجتماعية (بما في ذلك التاريخية) التي نستخدمها في دراستنا حتى نتفادى الوقوع في اللبس ، لان عدم تحديد مدلولات المصطلحات يؤدي الى اعطاء معان مختلفة لنفس المصطلح . وتسهيلاً لاعادة كتابة هذا التاريخ من المفيد ـ وقد يكون من الضروري ـ وضع قاموس عربي للمصطلحات التاريخية وتعميمه بين الجامعات ومراكز البحوث العربية وغيرها أقصى تعميم.

واعتقد بأن على المؤرخين العرب أن تكون فلسفتهم في اعادة كتابة تاريخ الامة العربية فلسفة قومية عربية وحدوية .

ومن المهم ايلاء اهتمام خاص للفكر التاريخي العربي الاسلامي . ولعلني لست مخطئا بالقول ان هذا الجانب الدراسي لم ينل حقه الذي يستحقه من اهتمام الدارسين العرب .

ان طبيعة اعادة كتابة تاريخ الامة العربية تستلزم أن يشارك في هذه الكتابة الباحثون المتخصصون في مختلف المواضيع الاجتماعية ، مثل علم الاجتماع وعلم النفس وعلم السياسة .

وينبغي التنبيه الى نقطة هامة أخرى متصلة بشكل من الاشكال بالموضوع الذي نتدارسه . ان عددا من المناهج والطرق في دراسة التاريخ والمتبعة في الغرب حاليا ـ ولعل هذه المناهج والطرق كلها ـ موجودة في بطون الكتب العربية التي وضعت في القرون الوسطى . وان من الخطأ الافتراض أو الاعتقاد بأن الباحثين الغربيين في التاريخ متفقون في الرأي فيما يخص أفضل المناهج لدراسة التاريخ . فالباحثون الغربيون يتبعون مناهج وطرقا مختلفة أو متناقضة في دراسة التاريخ . ولذلك على الباحثين العرب أن يختاروا لانفسهم المناهج والطرق الدراسية التي يعتقدون بأنها تلبي حاجاتهم .

وينبغي في اعادة كتابة تاريخنا أن نفكر تفكيرا هادئا ومتعمقا وموضوعيا ، والا نقيم خطواتنا في اعادة كتابة تاريخنا على الافتراضات (الا في الحالات الضرورية حقا) .

ويجب أن تكون النظرة في كتابة تاريخنا نظرة شاملة ، ولذلك من الحتمي صرف النظر الى العوامل الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية المحركة لتاريخنا على مستوى الجماهير وليس الاقتصار على مستوى الحاكم .

وحيث ان قسما لا يستهان به من الكتابات التاريخية العربية كتب بعين غير ناقدة . ولضرورة الموقف النقدي في العلم . فان من الضروري تنمية الاتجاهات المتفحصة الناقدة لدى الباحثين .

وعند استعمالنا لعبارة « الامة العربية » فليس المقصود ان أبناء هذه الامة تربطهم بالضرورة أواصر الدم. انه غني عن البيان ان مفهوم « الامة » يستعمل هنا بالمعنى الثقافي وليس العرقي .

فالعرب في العصر الحاضر هم سليلو شعوب مختلفة ولكنهم يشكلون أمة واحدة بحكم عناصر ثقافية معينة تضمهم جميعا .

واذا أردنا تحقيق الوحدة العربية ، فمن جملة الامور التي يجب القيام بها كمؤرخين وكمتخصصين في الدراسات الاجتماعية أن نشير الى أولئك المؤلفين والمفكرين في تاريخنا العربي الطويل الذين ناصروا وتناولوا في كتاباتهم مؤيدين فكرة الوحدة العربية والعروبة والذين حللوا في كتاباتهم مقومات الوحدة العربية وامكانياتها والمشاكل التي عرقلت أو ساعدت على تحقيق الوحدة العربية .

ثم ينبغي أن نبحث في تاريخنا عن تلك الفترات التي تحققت فيها الوحدة العربية أو وحدة قسم من الاراضي العربية ، وأن نحاول ان نستخلص الاستنتاجات فيما يتعلق بأسباب دوام الدول العربية الموحدة واسباب زوالها ، وهل تلك الاسباب التي أدت الى دوام تلك الدول تناسب لان نحدثها في عصرنا الحالي أم لا ، وهل تلك الاسباب التي أدت الى ازالة تلك الدول من الممكن تفاديها أم لا .

وحيث ان الامة العربية تتكون من جماهير يختلف قسم من عاداتها فينبغي أن ينصب تفكير المؤرخين والعلماء الاجتماعيين العرب على ما يلي : أن يأخذ الهيكل أو المبنى السياسي للدولة العربية الموحدة في الاعتبار هذا الاختلاف في العادات ، أي أن يكون ذلك الهيكل أو الاطار السياسي لهذه الدولة مرنا بحيث يأخذ في الحسبان خصائص كل من هذه الجماهير اذا وجدت مثل هذه الخصائص ، فان من شأن مرونة بنية أو هيكل سياسي كبير ان يطيل حياة هذا الهيكل .

ولدى دراسة اعادة كتابة تاريخنا ينبغي الاخذ في الحسبان العوامل التالية الوثيقة الصلة بالموضوع :

ـ التركيز على الدور الذي لعبته الجماهير العربية في حركة التاريخ العربي .

ـ سعة الرقعة الجغرافية للوطن العربي .

ـ مركزية الاسلام في الحياة العربية (بعد ظهوره) .

ـ تأثير العرب وتأثرهم ببيئتهم الطبيعية وبالشعوب التي حولهم .

ـ اثر المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية والنفسية على حركة التاريخ العربي .

ـ التكوين الطبقي للمجتمعات العربية .

* * *

حاجتنا الى وعي تاريخي ...

د. حسن حداد

رئيس قسم التاريخ بكلية سانت كسافيه بشيكاغو

يمر الوطن العربي في مرحلة خطيرة من تاريخه الحديث ، تشابه في بعض وجوهها مجابهته للحملة الصليبية الآتية من أوروبا في القرن الحادي عشر . فان نجاح الصهيونية في اقامة دولة اسرائيل في قلب العالم العربي ، دليل على عدم وصول العرب في القرن العشرين الى مستوى كاف من القوة الروحية والمادية ، تمكنهم من تفادي الكارثة . وهو كذلك دليل على فقر في فهم حقيقة المجتمع العربي لواقعه ولتاريخه ، وبالتالي لوجود المقومات اللازمة لبلورة هذا المجتمع لكي يتساند في جهد مجد لمنع حدوث الكارثة . فلم يقتصر الامر على انشاء الدولة الصهيونية الدخيلة ، بل ان هذه الدولة تتحدى جميع قوى العرب في دولها ومؤسساتها وتنجح بالتالي في التفريق بينها وفي تمزيق مجتمعاتها على غرار ما يجري في لبنان ، أو في فكرة اتحادها كما جرى في انعزال السادات عن الصف العربي .. فانعزالية الانعزاليين في لبنان ليست فقط نتيجة لتدخل أجنبي استعماري ، بل هي أيضا دليل على وجود الفكر الطائفي الانعزالي في لبنان وفي انحاء شتى من العالم العربي . وفي الحركة الانعزالية من جهة اخرى ـ التي تجلت في انسياق الحكومة المصرية في تيار القوى الخارجية دليل آخر ، يضاف الى الدلائل الآتية من لبنان ، على ان العالم العربي لا يزال في امس الحاجة الى مواجهة معضلته الاجتماعية والقومية من الداخل ، قبل أن يتمكن من الوقوف في وجه التحركات الامبريالية الخارجية .

وهنا تتجلى لدينا الاهمية الكبرى لثورة فكرية تربوية تسعى لايجاد جيل عربي يستمد قوته من ثقته بنفسه . ومن الواضح ان أصول هذه الثقة بالنفس تعتمد بالدرجة الاولى على معرفة الانسان العربي لجذوره التاريخية . ولهذا فاننا في حاجة الى وعي تاريخي مبني على أسس علمية صحيحة . يبدأ هذا الوعي عند المختصين والباحثين ، ثم يمتد تدريجيا الى المثقفين ، ثم يتطور الى احساس شعبي عام . وقد يستغرق ذلك اجيالا ، ولكن علينا البدء في هذا الطريق حالا وبشعور باهمية العمل الملقى على عاتق المؤرخين .

ان انعقاد مؤتمر يدعى « مؤتمر تاريخ الامة العربية » يدل أولا على توفر الشعور بالحاجة الى ايجاد وعي تاريخي في الامة العربية ، وان هذا الشعور موجود عند المختصين وعند بعض قادة العرب . ثم انه يؤكد لنا الحاجة الماسة لمثل هذا المؤتمر . اذ اننا في الامة العربيه . وبما يخص التاريخ ، لا نزال نعاني من النواقص الآتي ذكرها :

أولا ـ الاعتقاد السائد بأن التاريخ ، ودراسة التاريخ ، هو مادة مدرسية تنتهي بانتهاء الدراسة . ويعاني من هذا الاعتقاد الخاطيء طلابنا والكثير من أساتذتنا الذين ينتهي مجهودهم التاريخي بالتعليم المدرسي أو بكتابة الكتب للتدريس .

ثانيا ـ الفقر في البحث التاريخي الجدي الذي يستقصي الجذور ويحلل الوثائق ويكتشف المخبوءات . ثم يتوجه الى التحليل العلمي الدقيق ، ثم الى ربط الحقائق التاريخية بالواقع الانساني ، بفلسفة المجتمع وبالتوجيه الحضاري والسياسي .

ثالثا ـ الاهتمام القليل بالتنقيب عن الآثار . فلا يزال علم الاركيولوجيا في عامة البلدان العربية تقريبا وقفا على الاجانب . ويعود هذا النقص الى عدم اهتمام الجامعات والمؤسسات العلمية (وهي مؤسسات حكومية) بالآثار والتنقيب عنها ، الامر الذي يتطلب زمانا طويلا وجهدا ومالا ، مع العلم بأن نتائج البحث الاركيولوجي ـ بعكس نتائج التنقيب عن البترول مثلا ـ تأتي فقط بنتائج حضارية وفكرية من الصعب تقييمها .

رابعا ـ يتبع ذلك قلة الاهتمام بتاريخ الامة العربية قبل الاسلام . فالتاريخ القديم الذي كان في حساب الشرق والغرب في قرون مضت يتبع خطا توارثيا ضيقا لم يزل مهملا عند المؤرخين العرب .

ان مؤتمر المؤرخين العرب يجب أن يؤكد أولا على أهمية دراسة التاريخ بصورة علمية شاملة لجميع حقب التاريخ (القديم والمتوسط والحديث) ومن جميع جوانبه (علميا وفنيا واجتماعيا واقتصاديا الخ ..) والى أهمية تفريغ المختصين للبحث والاستقصاء عن المصادر الاولية والتنقيب عن الآثار ، الى أن تصبح مادة التاريخ فنا وعلما وادبا ، وليس فقط مادة تدريس في المدارس والجامعات .

هذا المشروع

محمد الدروبي

الجمهورية العربية السورية

مشروع هام وخطير ، مرتبط ارتباطا وثيقا بوضع الامة العربيه الراهن ، كما كانت كتابة التاريخ في أية

امة . وفي اي زمن . مرتبطة بوضع تلك الامة وبشكل الحكم فيها . الا اذا كان المؤرخ متخذا لنفسه منهجا معينا .

في ايار ١٩٧٤ تاسس في بغداد اتحاد المؤرخين العرب . وكان من اهم أهداف تأسيسه اعادة كتابة تاريخ الامة العربية بشكل موضوعي ، وكان الاتحاد يستعرض في كل اجتماعاته المتتالية سنويا هذه الفكرة ، وكانت المناقشات تطول وترفع الى الدول المشتركة في الاتحاد. دون جدوى ، والاتحاد مؤسسة ناشئة ضعيفة عاجزة عن القيام بهذا المشروع الضخم وحدها ، فهو يتطلب نفقات باهظة ، وحشد جهود وطاقات هائلة من العلماء والمؤرخين والباحثين المخلصين الموثوق بهم .. وفي اجتماعات المكتب الدائم في الدوحة والكويت استعرض الاعضاء سعي بعض الحكومات النفطية الى أعادة كتابة التاريخ العربي وحدها وتكليفها أيضا بعض العلماءالعرب والاجانب بذلك ، وكان استنكار المكتب لهذا العمل ، فالتاريخ العربي لا يمكن ان يكتب بأقلام أجنبية ، وانما أراد اتحاد المؤرخين اعادة كتابته لتنقيته من الشوائب والدسائس التي أدخلها فيه المغرضون من الباحثين الاجانب الذين يريدون تنفيذ مآرب دولهم بادخال الشك في نفوس الناشئين من أبناء هذه الامة .

بعض الدول العربية تنظر اليوم الى اعادة كتابة تاريخ الامة العربية على انه سبيل لنشر روح معينة ، يمينية أو يسارية ، ديمقراطية أو استبدادية ، اشتراكية أو ليبرالية أو راسمالية ... وما الى ذلك من اتجاهات . فهنالك ــ اذن ــ اصابع اتهام تشير اليوم الى المشروع . واذا أريد له أن يكتب بروح علمية موضوعية فانني أرى ان خير سبيل لذلك ربطه. بتوحيد الفكر العربي والثقافة العربية عامة ، فان تمت تلك الوحدة الفكرية أنشئت مؤسسة توضع لها قواعد معينة وبرامج محددة تقيد الباحثين وتشرف عليهم ، وبذلك تتحقق الروح الموضوعية العلمية . وامل اتحاد المؤرخين العرب كبير بأن ينجح ميثاق العمل القومي المنشأ بين بغداد ودمشق . فيكون في اخلاصه للامة العربية. رائدا مشجعا لبقية الشعوب العربية لتضم وتؤلف الاتحاد العربي أو الوحدة العربية التي تمناها الآباء والاجداد منذ قرون ، وعند ذلك تتأكد الوحدة الثقافية والفكرية عند العرب عامة ويستطيع اتحاد المؤرخين العرب تقديم خدمته في هذا الميدان بكل اخلاص وبروح موضوعية علمية صادقة .

تاريخ العرب في كتب الغرب

د. فرحات زيادة

جامعة واشنطن

ود ان الفت نظر المؤتمر الى ناحية هامة تتعلق بكتابة تاريخ الامة العربية . وهي كتابة ذلك التاريخ باللغات الاجنبية وعرضه بطريقة علمية موضوعية مشوقة على طلبة المدارس في العالم العربي . فكثير من الاساتذة العرب المغتربين قد عانوا كثيرا من عدم تفهم ذلك التاريخ بين الطلبة . بل من التحريف والتشويه فيه والجهل به . وغني عن البيان ما للكتب المدرسية من تاثير في تكوين عقلية النشء وفي تكييف موقفه الذهني والعاطفي من العالم الذي يعيش فيه ومن الشعوب والامم التي تخالف شعبه وأمته في كثير من شؤون حياتها . وبالتالي في تحديد موقف ذلك النشء من الشعوب والامم الاخرى حينما يكبر ويصير يريد دفة الامور الثقافية والسياسية في بلده .

وليس هذا المجال لتفحص أسباب التحريف أو التشويه . فهنالك عوامل كثيرة جرت اليه ، ولعل أهمها هو التحدي المباشر الذي قامت به الدول العربية والاسلاميه نحو الغرب منذ التوسع العربي والاسلامي في القرن الاول من الهجرة حتى زوال السلطة العثمانية عن الممتلكات الاوروبية . فالعداوة الطويلة بين العالم العربي والعالم الغربي حدت الى اظهار العدو بطريقة فظة تكاد تخلو من المقومات الانسانية . ولعل من تلك العوامل أيضا الموجة الامبريالية (بما في ذلك الموجة الصهيونية) التي حاولت ان تبرر صنيعها بالتعالي على العرب ووصفهم بأوصاف تنزلهم عن الاعتبارات التي تربط الانسان بالانسان . غير ان العامل الاهم هو الجهل الراسخ قدمه بين الكتاب والمؤلفين الذين ينبرون لكتابة الكتب المدرسية .

وقد انتبه الى هذه الظاهرة بعض الاساتذة العرب في جمعية دراسات الشرق الاوسط في أميركا ، فشكلنا لجنة دائمة في تلك الجمعية مهمتها دراسة الصورة التي تعكسها الكتب المدرسية المتوسطة والعالية عن الشرق الاوسط . وقد ظهر لنا منذ البدء في تصفح تلك الكتب ان الحقيقة تفوق مخاوفنا سوءا وتماديا في الجهل . فمن الكتب الستة والاربعين في تاريخ العالم أو تاريخ الشرق الاوسط التي تصفحناها أولا ، وجدنا ان تسعة وعشرين منها غير مرضية تماما او انها مغرضة أو ملأى بالاخطاء ، والباقي ، أو تسعة عشر ، كانت تتراوح بين ممتازة الى مرضية . ولا أود في هذه العجالة أن أشير الى جميع الاخطاء أو التشويهات التي عثرنا عليها ، انما

أذكر بعضا منها على سبيل التفكهة :

١ ـ النبي محمد ادعى انه نبي .

٢ ـ الاسلام نشر الدين بالسيف .

٣ ـ ان الحكام العرب يعرفون انه أثرت طريقة الحياة الاسرائيلية في شعوبهم المستعبدة فانهم لا يستطيعون ضبطها بعد ذلك .

٤ ـ القومية العربية تظهر وكأنها قوة هدامة في حين ان الصهيونية او القومية الاسرائيلية تظهر على عكس ذلك .

٥ ـ حكم الاستعمار الفرنسي كان « صارما ، وفعالا ، وجيدا . ففرنسا كانت من أوائل من تولى عبء الرجل الابيض » .

٦ ـ عندما توفي محمد (صلعم) انتقلت قيادة دينه المكافح اولا الى اقربائه وبعد ذلك الى قادة معينين يدعون بالخلفاء .

٧ ـ في مكه نيزك أسود اي الكعبه وكانت سقطت من السماء في الماضي البعيد .

٨ ـ في شهر رمضان يتوجه عشرات الالوف من المسلمين الى مكه للحج .

٩ ـ ان منطقه الشرق الاوسط ، عدا بعض الواحات ودوله اسرائيل ، هي صحراء يسكنها البدو .

١٠ ـ ان رباعيات عمر الخيام هي من المؤلفات العربيه التي يعرفها الغربيون !

وقد اصدرت اللجنة المنوه عنها انفا تقريرا مطولا عن الكتب المدرسية مع قائمة بالكتب التي تحبذها اللجنة والاخرى التي تشجبها . ومثالا لدروس عن بعض مشاكل الشرق الاوسط وكيفية تعليمها .

غير ان المشكلة لا تنتهي بمجرد اصدار تقرير ، ولا بد من اتخاذ خطوات فعالة من قبل المؤرخين العرب والدول العربية . ومن رأيي أن تتوحد جهود الملحقين الثقافيين العرب في الدول الغربية لاصدار الكتب المدرسية بواسطة دور نشر معتبرة تصور التاريخ العربي والحضارة العربية بطريقة جذابة وموضوعية . فاميركا مثلا أسست بعد الحرب العالمية الثانية مؤسسة فرنكلين لنشر الكتب الاميركية في العالم العربي ، وبريطانيا لها « المعهد البريطاني » الذي يقوم بنشر الثقافة البريطانية . والمانيا لها « معهد غوته » لنشر الثقافة الالمانية . لقد حان الوقت لانشاء « معهد عربي » يقوم بنشر الكتب المدرسية ، ولا سيما التاريخية منها ، أو لتمويل نشر الكتب من قبل المؤرخين العرب او المؤرخين الاميركيين الذين يعتمد عليهم وعلى موضوعيتهم .

اقتراحات . . .

د. رفعت علي أبو الحاج
استاذ التاريخ بجامعة كاليفورنيا

هناك صلة أساسية وحيوية بين الموضوعين المقترح بحثهما في « مؤتمر تاريخ الامة العربية » :

١ ـ دراسة الوضع العربي الراهن .

٢ ـ كتابة تاريخ الامة العربية (باسلوب علمي وروح موضوعية) .

فان الوضع العربي الراهن يتيح فرصة لم تتوفر لنا في الماضي لاعادة كتابة تاريخ الامة العربية ومن ثم الخلاص من التجزئة القطرية المفروضة على المنطقة . فالحتمية التاريخية تدعونا الى التمعن في ذلك التاريخ بروح علمية .

ان دراسة الموضوعين المذكورين لها أهمية تفوق الميدان الفلسفي والنظري البحت ، فالفكرة وليدة دوافع وظروف آنية تفرض حتمية البحث والتمعن وايجاد الحلول .

اما الظروف الآنية التاريخية التي أدت الى طرح الموضوعين فانها ليست بمقتصرة على السبعينات من القرن العشرين ، بل لها روابط وثيقة وجذرية بما مرت به الامة العربية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ... اي الحركات الثورية التي أدت الى نجاح الوطنية القطرية بدفع الاستعمار السياسي والثقافي والديني والذي سيطر على حياة الامة منذ القرن السابق . والدلالة الفكرية لذلك النجاح نجدها في مناهج وكتابة التاريخ حتى الخمسينات من القرن العشرين . ففي معظم الاحيان نجد تشويها للاطار العلمي النظري العربي بفكر ليبرالي يدعم الوضع الراهن تاريخيا وفلسفيا ومعنويا . فمثلا نجد ان الحوار التاريخي مركز على درس عوامل التفرقة بين الاقطار العربية ... فالهدف السياسي لهذه البحوث واضح جدا . وهو لتبرير التجزؤات القطرية التي فرضها الاستعمار على الامة العربية عن طريق برهنة طبيعية وجذرية تلك الفوارق والشذوذ (مثلا التفرقة حسب اللكنات ، أو فردية مصر مرتبطة بفرعونية تاريخها القديم ، او فردية شمال افريقيا مرتبطة بالعنصرية البربرية الخ) .

والفرق بين المنهج الليبرالي الاستعماري المذكور وحقائق تاريخنا واضح لكل من درس تاريخ امتنا عن طريق منهاج تاريخي شمولي يبين الروابط الحيوية

والاسس الشاملة التي تربط تلك الاقاليم بعضها مع بعض عبر التاريخ (فعلى سبيل المثال لم يطلب من ابن خلدون أو ابن بطوطه لا جواز سفر ولا اذن عمل .. ولا ابداء وجهة نظر أو نزعة خاصة في أي قسم من البلاد العربية التي نزلوا بها أو زاروها) .

ويجدر بنا أن نذكر بينات وبوادر جديدة تدل على ان المنهاج التاريخي الشمولي ليس من مواليد ١٩٧٨ فحسب ، واخص على سبيل المثال ما تنشره مجلة « الثقافة العربية » التي تصدر في الجماهيرية ومجلة « آفاق عربية » التي تصدر في الجمهورية العراقية .

فمن رؤيتنا وتصورنا لما سيكون عليه مؤتمرنا فاني اقترح :

أولا – تكريس ندوة (أو عدة ندوات) لدرس التيارات الداخلية والعوامل الخارجية التي تؤيد برنامج بحوث شموليا لتاريخ الامة العربية .

ثانيا – أقترح تكوين لجنة (أو لجان) لطرح الافكار والآراء لنفس البرنامج العلمي المذكور أعلاه . ومن ثم أقترح تكوين لجان تاخذ تلك الافكار والآراء قيد البحث والتمعن الدقيق لكي تتمكن من اعداد برامج مسهبة لدراسة تاريخ الامة العربية .

ثالثا – اقترح تكوين لجنه تحضيرية لتأسيس هيئة من المؤرخين العرب (مدعومة من قبل صندوق تتبرع له مصادر تمويل عربية من مؤسسات التنمية العربية أو الجامعات العربية أو مراكز بحوث عربية) من أهم واجباتها :

أ – تصنيف برامج بحوث مطولة وايجاد طرق عملية لتطبيقها .

ب – دراسة برامج بحوث مقدمة من قبل مؤرخين عرب وتابعة للاطار العلمي المصنف من قبل الهيئة المذكورة تمهيدا لدعمها ماديا ومعنويا .

ج – انني أقترح تكوين مجلة علمية يطلق عليها اسم « تاريخ الامة العربية » هدفها الاول نشر مقالات علمية داخلة في الاطار المذكور اعلاه .

شروط ضرورية . . .

د. شايف عبده سعيد
رئيس قسم التاريخ بجامعة عدن

ان كتابه تاريخ الامة العربية بأسلوب علمي وبروح موضوعية يتطلب حقا بذل الجهود المنظمة والمكثفة على غرار عقد مؤتمر لبحث هذا الموضوع بل مؤتمرات على فترات يتفق عليها .

ولتحقيق هذا المشروع لا بد من توافر شروط اساسية مثل :

(أ) توافر جهة واحدة متفق عليها تتولى عملية التخطيط للمشروع والاشراف على تنفيذه واخراجه الى حيز الوجود ، والجهة الجديرة بهذه المهمة هي اتحاد المؤرخين العرب سواء كان منفردا او مشتركا مع منظمات أخرى كالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وغيرها.

(ب) ضمان تمويل المشروع .

(ج) مساهمة المؤسسات المختلفة المهتمة بهذا المجال مثل الجامعات والجمعيات التاريخية ووزارات الثقافة ومراكز الدراسات والبحوث التاريخية الثقافية ، تلك المساهمة الايجابية التي تشمل جوانب متعددة تحددها الجهة المشرفة .

(د) تشكيل لجنة اكاديمية فنية من المؤرخين شبه متفرغة تتولى الكتابة أو الصياغة أو التنسيق بين لجان أو مؤرخين متخصصين .

(هـ) توافر الاقتناع لدى المسؤولين العرب حول تنفيذ المشروع أو اقناعهم في مساهمتهم الايجابية .

(و) توافر الاحساس والاقتناع التام لدى المؤرخين العرب المخلصين الغيورين على جلاء تاريخ الامة العربية .

(ز) الاستفادة من كل الجهات التي تتولى مشاريع كلية أو جزئية مشابهة : أي دراسة تاريخ البلاد العربية أو الحضارة العربية أو ما شابه ذلك . كتلك الجهة التي تتولى دراسة التاريخ العربي في الكويت ، أو اكاديمية العلوم السوفياتية التي تتولى دراسة تاريخ الاقطار العربية ، أو اللجنة التاريخية المكلفة باعادة كتابة تاريخ الثورة المصرية برئاسة أ. د. احمد عزت عبد الكريم حتى وان كنا مختلفين مع بعض هذه الجهات ، الا ان التنسيق معها أو الاطلاع على مشاريعها وما قدمته وانتجته تعتبر من التسهيلات العلمية ، وهو ما أقصده بالاستفادة .

ان توافر هذه الشروط أو بعضها لا بد وأن يكون من ضمن اعمال اي مؤتمر يبحث هذا الموضوع .

ان كتابة تاريخ الامة العربية يتطلب تقديم اقتراحات ايجابية علمية وعملية ، وأنا أتقدم بما يلي :

تقسيم كتابة تاريخ الامة العربية علــى شكلين أو نوعين كالتالي :

الشكل الاول :

كتابة تاريخ الامة العربية كامة واحدة ذات تاريخ « امة عربية واحدة على مستوى الوطن العربي » ، وهذا هو العمل الرئيسي والاساسي .

وبهذا الشكل يتحقق الهدف القومي للامة العربية في نظرتها الى تاريخها كوحـــدة متماسكة ، وهو مــا اهدف اليه .

الشكل الثاني :

كتابة تاريخ للاقطار العربية ، كل قطر على حدة ، حسب هيكل بحث تقترحه لجنة علميـــة . أو ان يترك لكل قطر عربي ان يعد تاريخه من قبل لجنة أو مــؤرخ معروف من داخل القطر يقدم للجهة المشرفة .

وهذا الشكل قد يرضي المسؤولين في الاقطــار العربية المختلفة ، من حيث ان كتابة تاريخ الامة العربية لن يكون موجها لاغراض خفية غير واضحة لهم .

بهذا يكون تاريخ الامة العربية ممكن التنفيذ نتيجة لاقتناع المؤرخين العرب في كل قطر عربي في المساهمة في كتابته . اضافة الى اقتناع المسؤولين العرب فــي دعمه وتنفيذه ماديا ومعنويا .

حول جدلية التفكك والوحدة

د. مصطفى هيكل

جمهورية مصر العربيـــة

يمكن تلخيص النقاط فيما يلي :

١ ــ موضوعية وشمولية التناول السياسي مـــن الناحية الاقتصادية والاجتماعية والفكريــة والثقافيـــة والحضارة المعمارية .

٢ ــ رؤية التفكك والوحدة على طول البعد الزمني لما قبل الاسلام حتى الوقت الحاضر ، وبعرض رقعـــة الوطن العربي مع العناية بالمنتمين للحضارة الاسلامية .

٣ ــ تقسيم الفترات الزمنية لتاريخ الامة العربية من منظور التفكك والوحدة ، أي تفكك ما قبل الاسلام ، فالوحدة الاسلامية ، والتفكك في اواخر العصر العباسي، ثم الوحدة في مواجهة العدوان « الصليبي » الاوروبي . . مرحلة تفكك طـــويلة و « وحدة » استبدادية ثم تفكك بفعل الاستعمار يستنهض بالتبعيـة النضال والجهـــاد المعادي له ، وتبلغ الذروة بالتحـدي الصهيوني لنعيش مرحلة الكفاح من أجل تحرر ووحدة الامة العربية .

٤ ــ أن يكون التناول والمعالجة الموضوع عـــلى أساس عرض مجموعات المصـــالح المتناقضة ونضالات المقهورين وفكرياتهم ضد المستغلين والمستبدين وفكرياتهم، مع موقع كل منهم في الانتاج والتملك .

٥ ــ أن يتم ذلك داخل اطار جدلي يراعي ان فترة التفكك والوحــــدة ليست فترة مطلقة وانما هي فترة يغلب عليها التفكك أو الوحدة ، بمعنى انه يوجد في داخل فترة التفكك عناصر الوحدة المستنهضة لها ، وفي داخل فترة الوحدة عناصر التفكك المحطمة والمدمرة لها .

٦ ــ أن يكون العرض غير معزول عــن الحضارات الاخرى السابقة والمواكبة للحضارة العربية لانها متاثـــرة بها ومؤثرة فيها مما جعلها ويجعلها مصدر اثراء واغنـــاء للحضارة الانسانية .

اقتراح بتوصيات

(١) مؤسسات :

أ) شراء المذكرات السياسية واستكتابها .

ب) مركز وثائق يتبادلها مع المراكز الاخرى .

جـ) مركز تجهيز للكتب التاريخية أو صور مــن النادر منها لامداد مــراكز الابحاث والمراكــز الثقافية والسفارات والجامعات .

(٢) اعمال للامد البعيد :

أ) دائرة معارف للتاريخ العربي (مطولة) .

ب) مؤلف عن تاريخ الامة العربية (مطول) .

جـ) فهرس بكتب التاريخ العربى (محليا وعالميا) حتى ١٩٨٠ .

د) طبع الكتب والرسائل الجامعية الهامة وترجمة الرسائل الجامعيــة الاجنبية التــي تتناول موضوعات تاريخ الامة العربية .

(٣) اعمال للامد القريب :

أ) دائرة معارف للتـــاريخ العربي (مختصرة) وترجمتها .

ج) فهرس سنوي بكتب التاريخ العربي .

د) حولية سنوية .

ه) مجلة فصلية .

خطوط اساسية في كتابة تاريخ الامة العربية

د. نور الدين حاطوم

امتنا العربية الخالدة على الزمان لم تخرج من العدم . فهرت على مسرح التاريخ وتبوأت مكانها بين الامم . واستطاعت ان تفيد من تجاربها ومن مآتي الامم التي سبقتها . وان تقدم للانسانية رسالة الاسلام . وتنفح فيها روح التحرر ، وأن تنجز بدورها حضارتها المعروفة باسم « الحضارة العربية الاسلامية » . وأن تمتد بهذه الحضارة على جزء كبير من قارات العالم القديم .

وبالرغم من الظروف القاسية التي مرت بها امتنا العربية خلال تاريخها الطويل ، فقد قاومت عوادي الزمن ، وما زالت تقاوم الغزاة والفاتحين والمستعمرين من كل جنس . واليوم تقف أمام أعظم التحديات . وتريد ان تزيل التخلف الذي لحق بها ، وأن تساير الركب الحضاري الحديث . ان أمة لها الكثير من ماضيها المجيد . وروحها الوثابة . وقوة نضالها . لا يمكن أن تستكين أو ترضى عن حاضرها المجزأ الاليم . بل تريد ان تقتحم العقبات وتؤمن لأبنائها العيش الكريم . والمستقبل الافضل على أرضهم ، وان تعاود سيرتها الاولى وتسترد مكانتها بين الامم المتحضرة .

في اطار هذا المفهوم نرى أن ننطلق في كتابة تاريخ امتنا العربية . وما من شك في ان التاريخ العربي زاخر بالمؤلفات التي تناولته من جوانب عدة . ومن وجهات نظر عربية وأجنبية . حسب اجتهاد المؤلفين ودرجة ثقافتهم ووجدانهم . ولكن بالرغم من كثرة المؤلفات ، ما زالت هناك نواح من تاريخنا تحتاج الى عناية واهتمام وانارة ، لنكشف لنا على حقيقتها . جهد المستطاع . بعد أن سادها الغموض . أو فسرت تفسيرا ناقصا أو خاطئا . او اتخذت على انها حقائق مسلم بها ، أو اغفلت واهمل شانها .

والآن . وبعد أن كثر في بلادنا العربية . المؤرخون العرب الذين تثقفوا ثقافات عالية ، وأنتجوا آثارا علمية رفيعة . أصبح بالامكان الاعتماد على انفسنا وتاليف مجموعة جديدة جامعة لتاريخ أمتنا العربية . على ضوء المنهج العلمي للتاريخ . وبشكل أفضل مما في السابق .

ونرى لتاليف هذه المجموعة التاريخية العربية الكبرى عرض هذه الخطوط الاساسية :

١ ـ ان كتابة التاريخ العربي بأسلوب علمي وروح موضوعية تقتضي منا الحياد في النظرة بدون فكرة خلفية أو مسبقة . أي دون تصور ان أمتنا خير امة أخرجت للناس . بل امة . كسائر الامم . لها ما لها وعليها ما عليها . وتتواق الى الافضل دوما . ولذا نرى ان يكتب تاريخ امتنا بعيدا عن الاهواء المختلفة او العواطف المتأججة والتعصب القديم . والتمسك بالتفسيرات التقليدية السابقة . واذا كان موضوع التاريخ بعث الماضي . فيجب ان يبعث هذا الماضي على حقيقته كما حدث . بقدر ما نستطيع . لا أن نتصور انه كان كما نريد ان يكون .

٢ ـ ان التاريخ الذي نريد كتابته يجب ان يضم مؤلفات تاريخية تركيبية تتناول جميع عصور التاريخ العربي منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر .

٣ ـ أن يتناول هذا التاريخ الامة العربية والجماهير العربية . اي المجتمع العربي في شتى أدواره وأعصاره وفي حياته اليومية وعلى امتدادها التاريخي في السابق.

٤ ـ ان يكتب تاريخنا ليكون تاريخ حضارة المجتمع العربي على مر العصور . وان يعالج تاريخ هذه الحضارة مختلف النواحي : السياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية والفنية دون اهمال واحدة منها ، والا يكون هذا التاريخ تاريخ سلالات او خلفاء او ملوك أو سلاطين او حكام . اي الالحاح على المجتمع ككل لا على ناحية خاصة بالذات واهمال النواحي الاخرى . وبيان ما قدمه الفكر العربي من مآثر نظرية وعملية ، وما أحدث من تطور في المجتمع القائم بالنسبة الى المجتمع الذي سبقه . اي ان نبين ان المجتمع العربي ككل يتطور بتسلسل مستمر بالرغم من انقطاع بعض حلقاته في بعض الاحيان ، مع ذكر أوجه هذا التطور من ايجابية وسلبية .

٥ ـ ان المجتمع العربي . بالرغم من امتداد سطحه الجغرافي وتجزئته السياسية . كان وثيق الاتصال على صعيد الامة العربية والانسان العربي ، وان يؤلف وحدة حضارية متميزة .

٦ ـ ان أمتنا العربية حية باقية على الزمان ، مناضلة دوما في الدفاع عن نفسها وعن قيمها السامية ومقدساتها ومثلها العليا وهويتها الشخصية العربية . على الرغم من الغزو والاحتلال والاستعمار وتعاقب الامم الفاتحة .

٧ ـ لا طفره في التاريخ ، بل تواصل وتداخل ونواشج بين عنصر قديم سائد وعنصر جديد يمدّه نسغ قوي فيحدث فيه التغيير . ومن هنا لا يمكن ان نتصور ان عصرا من العصور العربيه كان ظلاما ، ثم تلاه عصر كله نور واشراق . ولذا يقتضينا البحث عن مختلف العوامل التي اثرت في المجتمع الاسبق فاحدثت فيه التغيير وصيرت منه مجتمعا جديدا دون الاكتفاء بعامل واحد .

٨ ـ في التاريخ العربي الاسلامي كثير من الاحداث التي عالجها المؤرخون معالجه ناقصه او فسروها تفسيرا ضيقا او سريعا او عاطفيا أو مغرضا . وان من حق المؤرخين المحدثين وواجبهم ان يطبقوا قواعد النقد العلمي النزيه على هده الاحداث ، وان يجدوا لها تفسيرا علميا منطقيا معقولا ومقبولا .

٩ ـ ان الحوادث التي مر بها العرب فرضت نفسها فكونت لتاريخهم ادوارا ، شانهم في ذلك شان سائر الامم ، مثل : عصر ما قبل الاسلام او تاريخ العرب القديم ، عصر الرسالة ، عصر الخلافة الراشدة ، العصر الاموي ، العصر العباسي ... الخ .

ومن هنا يمكن ان يعالج التاريخ العربي تبعا لهذه الادوار ، مع الاخذ بالملاحظات السابقة ، او أن يعالج على قرون ، اسوة بالمجموعات التاريخية التي أصدرتها الجامعات الاجنبية مثل : « مجموعة كمبردج » او « الشعوب والحضارات » أو « التاريخ العام » وغيرها . او أن تعين عهود السيادة والنفوذ في التاريخ العربي ، وتتخذ نقاط انطلاق لتقسيم التاريخ العربي الى أدوار ، ونذكر على سبيل المثال :

(ا) العصر العربي : ويتضمن تاريخ العرب قبل الاسلام ، عصر الرسالة ، الخلفاء الراشدون ، العصر الاموي .

(ب) عصر اللقاء والتفاعل الحضاري الذي يجمع بين التقاليد العربية والتراث الاجنبي .

(ج) العصر التركي ـ المغولي .

(د) العصر الاستعماري والنهضة العربية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية .

(هـ) حاضر الامة العربية منذ ١٩٤٥ .

١٠ ـ الا يكون التاريخ العربي في فراغ ، بل يجب ربطه بتاريخ الامم المجاورة والمعاصرة شرقية وغربية ، وبما فيه من أخذ وعطاء ، ومزج حضاري .

١١ ـ أن يتفق في المؤتمر على تأريخ الحوادث بالتاريخ الهجري ، أو الميلادي ، أو بكليهما معا .

١٢ ـ أن يتفق في المؤتمر على حجم وعدد صفحات وقطع وعدد الاجزاء التي تحتوي التاريخ العربي بأبعاده الزمانية والمكانية ، اي الجغرافية ، وأن تعين الموضوعات التي يجب معالجتها وأن توزع على أجزاء هذه المجموعة التاريخية .

١٣ ـ أن يحصى عدد المؤرخين في العالم العربي، وان توزع عليهم الموضوعات التاريخية حسب تخصصهم وبعد مشاورتهم ومعرفة رغباتهم . ويمكن ان يشترك في تاليف الجزء اكثر من مؤلف واحد .

١٤ ـ المجموعة التاريخية العربية التي نريدها، هي مجموعة تاريخية متسلسلة تاريخيا لتبيين مراحل التطور العربي والوصول به الى العصر الحاضر .

١٥ ـ هذه المجموعة التاريخية نريدها كتبا يدوية يتداولها طلاب الجامعات العربية لتعرفهم بتاريخ أمتهم على حقيقته ما امكن بما فيه من مواطن القوة ومواطن الضعف ، ولتكون لهم موجها علميا يرشدهم في الاقدام على العمل والبحث التاريخي برغبة وشغف ، وتحبب اليهم دراسه التاريخ العربي والرجوع الى الامهات والمصادر الاولى التي استقى منها المؤلفون مادتهم التاريخيه . كما تحبب الى القارىء العربي المستنير دراسة تاريخ أمته .

١٦ ـ ان يترك لمؤلف او لمؤلفي جزء من المجموعة مهلة للانجاز تتراوح بين سنتين وثلاث سنوات .

١٧ ـ ان تصدر المجموعة بلوحة جغرافية لتاريخ الوطن العربي وامتداده عبر الاجيال وموقعه وأهميته وموارده البشرية والاقتصادية وامكانياته الخ ... ولا بد لذلك من تشكيل لجنة جغرافية خاصة تتالف من عضوين أو ثلاثة أعضاء لوضع هذه اللوحة الجغرافية ـ التاريخية.

١٨ ـ أن تلي اللوحة الجغرافية السابقة لوحة اخرى تاريخية تؤلفها لجنة من عضوين أو ثلاثة أعضاء ، وتوضح فيها مراحل التاريخ العربي وما أنجزه الانسان العربي من مآثر واعمال في خدمة الحضارة الانسانية لتبين ان الوجود العربي لم يكن عبثا في يوم من الايام . وان شرف انتماء العربي الى الامة العربية يرجع الى ما قدمته هده الامة للانسانية من قيم رفيعة وأعمال خالدة .

١٩ ـ ان تختتم المجموعة التاريخية بخاتمة مطولة نسبيا ترصد وتقيم التاريخ العربي على ضوء الدراسات التي أجريت في أجزاء المجموعة لتجعل من هذا التاريخ رصيدا عربيا زاخرا وقوة دفع للامة العربية وتطلعاتها وسعيها لبناء المستقبل العربي الافضل بالرغم من التحديات وعوامل الاستنزاف والافناء .

ولوضع هذه الخاتمة تؤلف لجنة خاصة أيضا .

٢٠ ـ تأليف لجنة من عدة أعضاء من مختلف التخصصات التاريخية العربية مسؤولة عن متابعة العمل حسب قرارات وتوصيات المؤتمر .

٢١ ـ تعيين الجهة الممولة للمشروع .

٢٢ ـ تحديد مكافأة تشجيعية مجزية وكريمة للمؤلفين .

نظرات حول اعادة كتابة تاريخنا

د. أحمد حسن جودة

قسم التاريخ بجامعة قاريونس (بنغازي)

ان النكبات التي تصيب الامم في التاريخ الانساني كانت دائما حافزا وباعثا الى التفكير في الماضي وفي المصير ومثيرا لكثير من دارسي التاريخ لاعادة النظر في تفسير التاريخ وتحليله لحقبة معينة او شعب معين .

وعليه فان واقعنا العربي الاليم في الربع الاخير من القرن العشرين وما اصابتنا من ويلات ونكبات منذ مطلع هذا القرن ان لم يكن منذ اواخر القرن السابق يفرض علينا هذا الواقع مجابهة جديدة وصريحة لماضينا القومي وربما للتاريخ الانساني بشكل عام . مجابهة تتناسب ومطالب هذه المرحلة التاريخية الهامة .

واننا لجديرون ان نبذل اقصى ما في جهدنا لنسبر اغوار هذا الواقع العربي . وسيدفعنا هذا الجهد الى ادراك افضل وادق لانفسنا وواقعنا . سواء بالنسبة لماضينا الذي يجب ان نتخذ منه قوة دفع في مسيرتنا . وكذلك مصيرنا الذي نتطلع اليه ونندفع نحوه لكي نعي حقيقة هذا وذاك ونعمل ما في استطاعتنا للتحكم في خط سيرنا وبالتالي في المصير الذي نندفع صوبه بدلا من ان نكون له محكومين مسيرين .

وفي هذه الانتفاضة القومية يجب ان يكون الوعي التاريخي مصدر قوة لا مبعث هزات عابرة وعاملا من عوامل الانتاج والبناء والخلق والابداع . ولكن لكي يتحقق كل هذا يجب ان يكون وعينا التاريخي وعيا متفحصا ومستنيرا .

كثير من الافراد بل ومن الشعوب ما تقع فريسة لفهم خاطئ مغلوط للتاريخ . اذ يتبادر الى الذهن مباشرة وبسرعة وبشكل غريزي بان التاريخ هو الماضي ، وعليه يظل ذلك الفرد أو الشعب حبيس الماضي ورهينته .

والواقع الصحيح ان التاريخ عبارة عن جسر يربط الماضي بالحاضر وينير الطريق الى المستقبل . وهو ليس مجرد دليل على طريق المستقبل انما هو فاعل لذلك المستقبل . أي ان تصورنا لماضينا يجب أن يشكل طموحاتنا للاجيال المقبلة . كما ان معرفتنا التاريخية هذه يجب أن تكون سلاحا نتسلح به لمجابهة الاخطار التي تحدق بنا ولشق طريقنا في الحياة لتحقيق حياة أفضل ومستقبل زاهر .

نخلص من هذا الى ان التاريخ صانع للشعوب ، ولكن لهذه الشعوب في الوقت نفسه الاهمية نفسها في كونها باعثا وملهما مستمرا . اذ يشعر كل مواطن بشرف المشاركة في تاريخه وتاريخ أجداده وأسلافه .

الانسان تاريخي بجوهره ، وكل انسان مرتبط بماضيه . فلا انسان بلا تاريخ . ولا تاريخ بلا انسان . فهو ينشىء الحياة ويصنع التاريخ .

واذا اتفقنا على هذا الارتباط بين الانسان والماضي (التاريخ) فيجب ان نسعى لادراك الماضي ونستجلي حقيقته ونتخذ موقفا سليما منه ، ونربطه ربط فعل وانتاج بالحاضر الذي نعاني مشكلاته وبالمستقبل الذي نعمل على تشييده .

ان فكرة اعادة كتابة تاريخ الامة العربية ليست شيئا فريدا وخاصا بالعرب ، فكثير من الامم والشعوب قامت به عبر العصور ، فالمانيا النازية وايطاليا الفاشية وكذلك الاتحاد السوفياتي ، كلها قامت باعادة كتابة ليس تاريخ بلادها فحسب بل تاريخ غيرها من الشعوب أيضا .

ومع أن التاريخ المكتوب بروح علمية وموضوعية رفيعة يحمل بين طياته عناصر الاستمرار وربما الديمومة، الا ان هناك شعورا لدى كل جيل برغبته في اعادة كتابة التاريخ . فالمنظار الذي ننظر من خلاله الى الماضي يجب أن يعدل أو يعاد تعديله من جيل الى آخر ، لان ما نراه صحيحا وحكمة لاجدادنا كثيرا ما يظهر غير ذلك لنا ، وما كان كئيبا محزنا لجيل معين يظهر ساذجا مبتذلا للجيل التالي .

لكن يجب ان يظل ماثلا امامنا انه ليس من شأن المؤرخ أن ينظر الى الماضي من خلال معايير الحاضر ، لان الانسانية ليست شكلا ولا طابعا ولا نمطا واحدا ــ فلكل عصر ولكل امة طابع فريد لا يتكرر .

واذا اتفقنا مع ما يقوله المؤرخ الايطالي المشهور كروتشه بان « كل تاريخ هو تاريخ معاصر » وانالتواريخ ما هي الا « وجهة نظر » لكاتبها ، نخلص الى ان اعادة كتابة التاريخ عملية تحدث باستمرار في كل زمان ومكان ولكن بشكل فردي وليس بشكل جماعي منظم .

وبما ان كل تاريخ يكتب في حقبة ما أو في بلد ما يعكس الى حد كبير روح ذلك العصر أو فكر ذلك البلد ، فان تتابع تواريخ متعددة لا ضرر فيه ، اذ يعتبر سجلا المراحل التي مرت بها الافكار والمشاعر لشعب ما .

التاريخ ليس فوق النزاع والجدل . ولا يسمح للتاريخ بأن يكون محايدا ، بل يجبر على الانخراط في صفوف كل من الجيوش المتناحرة . يستعمله كل جانب من الجوانب لتعضيد قضيته ودحض حجج خصمه .

وعليه يجب ان نكون جد حذرين من أن نقع في اخطاء التفسير العنصري (العرقي) للتاريخ كما حدث مع النازية والفاشية . ونفس الكلام يصدق على مدارس تاريخية اخرى كثيرة يجب ان نستفيد منها بحذر .

فاعاده كتابه التاريخ بحيث تتلاءم وفترة تاريخية معينه لها مخاطرها وعيوبها واضرارها البعيده المدى . والامثله على ذلك لا حصر لها في التاريخ الاداري بالذات .

ان اعاده كتابه التاريخ بلا ريب يمكن ان تصبح اداة فعالة لخدمة حزب او فكرة معينة . اذ انها المفتاح الرئيسي والهام لسيطره فكرة ما على قطر أو شعب معين خدمة لهدف محدد .

لكن مثل هذه السياسة الفجة التي تهدف في الحقيقة الى تشويه التاريخ ، وليس حبا في تنقيحه ، هي محاوله فاشله لانها تحمل بين ثناياها عوامل هدمها وتدميرها .

ولهذا يجب أن نكون متيقظين وحذرين حتى نتجنب تسخير أقلام المؤرخين وتجنيدها في خدمة السياسة الحزبية أو الافكار الضيقة العقيمة . بل يجب أن يكون تركيزنا الاساسي على ابراز الطابع القومي الشمولي والابتعاد عن النزعات القطرية .

ولما كان المؤرخ العربي مطالبا بالعمل ، جاهدا على المحافظة على استقلاليته ونزاهته وموضوعيته في كتابة تاريخ الوطن العربي والامة العربية ، فهو في الوقت نفسه له حقوق يجب توفيرها له من قبل هذه الامة وهذا الوطن .

أهم هذه الحقوق وأولها المناخ الديمقراطي السليم الذي تتوفر فيه الحرية الشخصية والحرية الفكرية . لان شيئا من النزاهة والصدق والموضوعية كثيرا ما كلفت المؤرخين الصادقين ثمنا غاليا .

ان الباحث عن الحقيقة . والمؤرخ باحث عن الحقيقة لا شك في هذا ، لا يمكن أن يكون عبدا لنظام حكم أو حاكم أو حزب ، يتلقى تعليماته من موظفين بيروقراطيين ، بل يجب أن يظل صوتا مدويا على منبر الحرية يشارك في بناء صرح أمته والانسانية جمعاء عن طريق البحث عن الحقيقة وتقديمها للجماهير خدمة لمصالحهم وتحقيقا لاهدافهم .

المؤرخ العربي في هذه الآونة بالذات مدعو وبالحاح للقيام بدوره على خير وجه ، وأن يرتفع فوق رواية الاحداث وترديدها مرضاة لهذا الحاكم أو ذاك ، بل هو مطالب بتحليلها وتعليلها وكشف الغث من السمين ، وتقديمها لبني قومه بل وللانسانية كلها .

وبهذا يكون المؤرخ العربي قد وضع الحجر الذي يخصه في الصرح القومي العربي الشامخ الذي يتوق الى تحقيقه كل صغير وكبير من أمتنا ، وبالتالي يسهم كذلك في بناء الصرح الانساني .

هذه الدعوة للمؤرخ العربي تزداد الحاحا في هذه الايام ، ايام النكبات بل والسنين العجاف التي أنتجت حكاما مخصيين ، اذ تزداد الحاجة الى الفهم والافهام احتاعا للحق وارهاقا للباطل .

وفي الختام اود تقديم المقترحات التالية :

أولا ـ الاهتمام بالانسان الباحث كانسان وليس كموظف مرتزق يجري وراء الماده . فهذا عامل مهم جدا في خلق مؤرخ قدير ونزيه . ونواحي الاهتمام كثيرة لا يتسع المجال هنا لتفصيلها .

ثانيا ـ تيسير مهمه النشر وحصول الباحثين على المنشورات والدراسات اللازمة . فالباحثون في البلاد العربيه بالذات يعانون كثيرا من صعوبات جمة للحصول على مصادرهم الاولية أو اية معلومات تلزمهم في دراسة مسألة معينه ومحددة . ومن العجب ان نجد المنشورات العلميه الصادره خارج وطننا اكثر غزاره وربما محتوى ايضا من تلك الدراسات التي ترصد وتنشر داخل المنطقة .

ثالثا ـ التنسيق بين الهيئات التاريخية في الوطن العربي حول هذه الفكره في كتابة تاريخ الامة العربيه (لقد نشر في مجلة الدارة / السنة الثالثة ، العدد الاول فبراير ١٩٧٧) عن مشروع مماثل لاعادة كتابة التاريخ الاسلامي . وقد شكلت لجنة خاصة لهذا الغرض منبثقة عن المجلس التاسيسي لرابطة العالم الاسلامي .

كما ان الامانة العامة لاتحاد الجامعات العربية قد شكلت لجنة تحضيرية من كبار المؤرخين مكلفة بدراسة مشروع خاص باعادة كتابة تاريخ العرب والاسلام .

رابعا ـ انشاء صندوق لتمويل هذا الصندوق الذي نحن بصدد دراسته ، ويفضل أن يكون هذا الصندوق مستقلا عن أي نظام سياسي قائم حتى يتمتع بالنزاهة العلمية اللازمة له في تمويل البحوث التي تقدم للمشروع ، وأن تطالب جميع الهيئات والافراد في الوطن العربي بدعم هذا الصندوق للمحافظة على استقلاليته .

خامسا ـ تكون هيئة علمية للاشراف على الصندوق وعلى المشروع . ويراعى في أعضائها المقدرة العلمية بغض النظر عن اية اعتبارات أخرى ، وكذلك تأسيس مجلة علمية أو أكثر (حسب الظروف) تكون منبرا تيسر للباحثين نشر بحوثهم . وأن يكون اهتمام هذه المجلة ببحوث تتسم بالصفة الشمولية للوطن العربي وليس الاهتمام الاقليمي العقيم .

سادسا ـ في غياب اتحاد عام للاساتذة الجامعيين في الوطن العربي يجب العمل بكل الوسائل لتقوية اتحاد المؤرخين العرب لرعاية أعضائه اذا ما دعت الحاجة الى ذلك وكثيرا ما تدعو .

بعض مشاكل كتابة تاريخ الأمة العربية

طريف الخالدي

دائرة التاريخ بالجامعة الاميركية ـ بيروت

١ ـ يبدو لي في البدء ان درس كتابة تاريخ الامة العربية يجب أن يواكبه درس التاريخ العربي . فقد درس الباحثون شتى نواحي الثقافة العربية الاسلامية من فقه وكلام وعلوم طبيعية ، لكن تاريخ التاريخ عند العرب لا يزال بالمقارنة ، مجهولا . هناك بالطبع كتاب الدكتور الدوري . وهو كتاب جليل لكنه لا يتعرض الا لحقبة معينة من هذا التاريخ . أي الى نشأة علم التاريخ. أما كتاب المستشرق روزنتال ، فهو على أهميته من الناحية الوثائقية لا ينطوي على تحليلات دقيقة وانما على أحكام عامة وسطحية في الغالب . وهناك بالطبع دراسات عن مؤرخين معينين كالدراسات المستفيضة عن ابن خلدون . لكن هذه الدراسات تهمل مدارس التاريخ التي سبقت ابن خلدون ، ناهيك عن المدارس التي تلته . ولا جدال ان البحوث التاريخية في بلادنا العربية يجب أن يواكبها اهتمام عميق بالتأريخ ، قديمه وحديثه . وحبذا لو اتخذ مؤتمرنا الكريم توصية بهذا المعنى . أي بلفت النظر الى ضرورة دراسة علم التأريخ عند العرب ، وهذه الدراسة قد تبدأ مثلا بتوجيه بحوث تلاميذنا على المستوى العالي ، ولا تنشط الدراسات التاريخية في رأيي في بلد ما الا اذا كانت هذه‌الدراسات تتفاعل باستمرار مع الفكر التاريخي . أي مع التأريخ .

٢ ـ هناك بالطبع نقص شديد في التاريخ العربي من الناحية الاقتصادية والاجتماعية . وهذا أمر قد لفت الانتباه اليه الكثيرون من المؤرخين . وفي هذا المجال . فان الجامعات العربية قد تسهل الوصول الى مثل هذه الابحاث اذا عمدت بشكل عام الى توسيع رقعة التخصص عند الطالب الذي يحصل على الدرجة الجامعية الاولى في التاريخ ، فتسمح له ان يتخصص بمادتين لا مادة واحدة . كأن يتخصص مثلا بالتاريخ والاقتصاد أو بالتاريخ والعلوم الاجتماعية ، فيجمع بين المنهجين ويتسنى له حينئذ طرح الاسئلة الملائمة وايجاد التفاسير لها .

٣ ـ منذ أواسط القرن التاسع عشر ، بدأ العرب بدراسة التاريخ العربي بشكل أكاديمي منظم . ونحن لا نزال نستشهد ببعض هذه الدراسات والتي لا ريب ان بعضها ذو فائدة كبيرة . لكننا لم نلتفت بعد الى دراسة تاريخ الاستشراق بشكل مكثف لكي نميز الصالح من الطالح . فالاستشراق كثيرا ما يشوه تاريخنا العربي، ويتسرب هذا التشويه ، ظاهرا أو باطنا ، الى مؤلفاتنا نحن العرب . ويخلق مدرسة من التفاسير التاريخية التي يصعب علينا فيما بعد الافلات من طوقها . ودراسة الاستشراق بشكل عميق تستحق مؤتمرا خاصا بها ، يدعو اليه مؤتمر المؤرخين العرب ويجري اعداده لكي يشمل أكبر عدد من مؤرخي البلاد العربية ، لكي تتم فيه المقابلة بين الاستشراق الفرنسي حول الجزائر مثلا والاستشراق الايطالي حول ليبيا والاستشراق الصهيوني حول فلسطين ، والى ما هنالك . وقد نعمد بعدئذ الى اقرار مادة تاريخ الاستشراق في عداد المواد الجامعية لدى دوائر التاريخ في الجامعات العربية .

٤ ـ هناك مشكلة دراسة التاريخ الشعبي العربي. فنحن لا نزال نرى التاريخ من وجهة نظر النخبة ، ولا نراه من وجهة نظر الشعب أو الحركات الشعبية . والتاريخ الشعبي العربي لا يزال بحاجة ماسة الى دراسة مستفيضة دقيقة . هناك طبعا دراسات عديدة عن ثورة الزنج مثلا وعن ثورة القرامطة ، لكننا نكاد لا نعرف شيئا عن الحركات الشعبية في المدن العربية في صدر الاسلام سوى القليل الذي درسه ، مع الاسف، المستشرقون الالمانيون والفرنسيون . ولا جدال ان مثل هذا الامر يتطلب انشاء معهد أو معاهد لا تخضع للروتين الاكاديمي أو الحكومي . لها ميزانياتها المستقلة ولجانها التي تشرف على أعمالها وهياكلها التي تتألف من أكبر عدد ممكن من الباحثين الاختصاصيين وأقل عدد ممكن من الموظفين الاداريين .

٥ ـ هناك نقص فادح في علم الآثار العربي الاسلامي . وهو علم لا غنى عنه في‌التاريخ العربي. فنحن لا نزال مع الاسف نعرف عن المدينة اليونانية أو الرومانية التي لا تزال آثارها قائمة في ارضنا العربية أكثر مما نعرف عن مدننا في عصور ازدهارها العربية . وهذا أمر

يجب أن نلفت اليه اهتمام طلابنا ونتخذ بشأنه توصية ملائمة في مؤتمرنا هذا .

٦ ـ وأخيرا ، وفيما يتعلق بمجلة « المؤرخ العربي » التي تصدرها الامانة العامة للاتحاد ، فاني أقترح ان تنتهج منهجا جديدا وأن تخصص صفحاتها لنقد الكتب التاريخية . واذا فعلت ذلك ، فانها قد تصبح أنجح وسيلة لرفع مستوى الكتابة التاريخية ولتفاعل الآراء بين المؤرخين العرب في شتى انحاء الوطن العربي . فبدون مثل هذا التفاعل الخلاق المستمر عبر النقد المسؤول العلمي الدقيق لن يتسنى للمؤرخين العرب الوسيلة النافعة للنهوض بمستوى كتابة التاريخ على مستوى الامة العربية جمعاء .

٧ ـ انعزال كتابة التاريخ العربي عن تاريخ الشعوب الاخرى ، مع العلم ان الحضارة العربية الاسلامية هي التي أبدعت علم الحضارات المقارن . فنحن لا نكاد نجد في جامعاتنا خبيرا واحدا في تاريخ الهند والصين وايران مثلا . لذا يجب ان يسد النقص في تاريخ الشعوب التي ارتبطت وترتبط بنا تاريخيا .

تاريخ ملتزم بالجماهير العربية

د. اسامة النور

١ ـ الجانب المنهجي

ان الاساس بالنسبة لمؤتمرنا هذا ينحصر في امكانية دراسة تاريخ الامة العربية دراسة موضوعية . ولانجاز مثل هذه المهمة لا بد لنا من الاعتماد على وقائع الماضي والحاضر التي وجدت فيها عملية التطور الموضوعية انعكاسا لها . ان تجميع الوقائع وتصنيفها ومعالجتها من ارتباط بعضها بالاخر يشكل الاساس الداخلي لتنفيذ المهمة التي نحن بصددها . ولا شك في اننا بحاجة لبذل مجهودات مضنية لتنفيذ عملية التجميع المركز للوقائع وتصنيفها ودراستها (الوثائق . المخطوطات . المواد الاركيولوجية . المواد الاثنوغرافية) . هذا مع ملاحظة ان من الضروري أن يؤخذ . ليس مجرد وقائع تاريخية متفرقة . وانما مجمل الوقائع التاريخية المتعلقة بتاريخ أمتنا العربية دون أي استثناء . فالتجميع بقدر الامكان لمجمل الوقائع عن أحداث تاريخنا المختلفة وعن الظواهر والتفاعلات والعمليات التاريخية ، التجميع الدائم الدؤوب لذلك النوع من الوقائع وتصنيفها ودراستها في مدى ترابطها وتداخلها ، يشكل شرطا ضروريا وأساسيا لكتابة تاريخنا العربي ولتطور البحث العلمي في هذا المجال . ولكن لا يمكن أن نكتفي بوصف الاحداث وسردها دون بذل محاولة لتفهم تلك الاحداث وتفسيرها . لذلك لا بد لنا من الانتقال ، على أساس مجمل الوقائع ، لتفهم وتفسير بعض الظواهر والعمليات من حياة مجتمعنا العربي وللكشف عن القوانين التي تحكم تطوره ولاستنباط خصائص التطور التاريخي . مثل تلك الاستنتاجات علينا ان نصوغها في شكل تعميمات نظرية . ولكي يصبح بمقدورنا استرجاع الصورة الموضوعية لعملية تطور المجتمع العربي . لا بد وان نحدد العناصر التي تشترك في عملية التطور التاريخي تلك والدور الذي يلعبه كل عنصر من تلك العناصر . كما لا بد لنا من الدراسة التفصيلية لتركيب الموضوع واشكال تبدله في المراحل المختلفة من العملية التاريخية . وأخيرا لكي يصبح باستطاعتنا وضع تصور للتطور التاريخي بالتحديد كعملية وليس فقط مجرد سلسلة متتابعة كرونولوجيا من حالات الموضوع . لا بد وأن نكشف عن قوانين الانتقال من حالة تاريخية لاخرى . أن التعميمات التاريخية . وادراك مجمل الوقائع المجمعة والمصنفة والمدروسة في مدى ارتباط وتداخل احداها بالاخرى ومن ثم التوصل للاستنتاجات الفردية . كل ذلك يشكل الجانب الآخر لابحاثنا المتعلقة بتاريخ أمتنا العربية . ان التاريخ يحتوي في داخله على النظرية والتي بدون تواجدها لا يمكن لنا التحدث عن امكانية كتابة التاريخ الموضوعي لامتنا العربية .

ان وحدة الجانبين الخاصين بالبحث التاريخي الموضوعي لهي وحدة لا تنفصم ، ففي ادراك تاريخ المجتمع تتمازج جدليا من الجانب الاول عملية تجميع الوقائع وتصنيفها ودراستها في ارتباطها وتداخلها ، ومن الجانب الثاني التعميم النظري للوقائع التي يتم تجميعها وتصنيفها ودراستها . ان اي خلل يصيب هذه الوحدة، بهذا القدر أو ذاك ، سيؤدي حتما لتشويه وتزييف وتحريف عملية معرفة تاريخ امتنا العربية ، الشيء الذي سيجد له انعكاسا سلبيا في نتائج ابحاثنا . وما أكثر

مظاهر ذلك التشويه والتزييف والتحريف الذي نجده في ابحاث بعض زملائنا من المؤرخين العرب عندما يبتعدون بأبحاثهم التاريخية عن الوقائع الموضوعية أو يهملونها ليأخذوا في وضع مخططات سوسيولوجية تعسفية للتطور الاجتماعي دون اعتبار او استناد لاسس علمية كافية ، أو في أبحاث الذين لجأوا الى التجريبية وانحصر هدفهم في الركض لتجميع وتسمية الوقائع دون بذل محاولة جادة لفهمها وتعميمها نظريا والكشف عن القوانين المحددة .

ان التاريخ الذي علينا ان نكتبه لا بد وان يكون صادقا وعلميا ، أن يتجنب المبالغات ويلتزم علما بالواقع الحقيقي لهذا العصر او ذاك من تاريخ امتنا العربية . وبجانب ذلك فان التاريخ الذي علينا أن نكتبه لا بد وان يكون ملتزما ومنحازا ، والتزام وانحياز ابحاثنا التاريخية يعكس انحيازنا والتزامنا للجماهير العربية ، للمنتجين الحقيقيين لثروات أمتنا العربية ، للمبدع الاساسي لتاريخ امتنا العربية ـ للشعب العربي وليس للملوك والحكام والامراء وكبار الملاك . هذا الالتزام والانحياز لا بد وان يجد له انعكاسا في التعميمات النظرية التي نتوصل اليها اعتمادا على المواد الوقائعية .

ان المعادين لتقدم شعوبنا والاستسلاميين الذين تتعارض مصالحهم والاتجاه السائد اليوم والمؤدي للمزيد من تطور مجتمعنا العربي لا مصلحة لديهم في ما نتحدث عنه من « المعرفة الموضوعية لتاريخ أمتنا » . لذلك فان أفكارهم التي تجد انعكاسا لها في نظم سوسيولوجية محددة تولد التشويه والتحريف في البحث التاريخي ؛ وارتباط الابحاث التاريخية في عالمنا العربي بمثل تلك النظم السوسيولوجية كثيرا ما عاق في الماضي ويعيق في الحاضر كتابة التاريخ الموضوعي لشعبنا العربي . وبالعكس ؛ فالتجربة أثبتت ان ارتباط البحث التاريخي في عالمنا العربي بالاتجاهات السوسيولوجية الطليعية بالنسبة لعصرها والتي تقف حاليا دفاعا عن مصالح امتنا المستقبلية . هذا النوع من الارتباط كان دائما ارتباطا حتميا ومنتجا .

ثانيا ـ المقترحات حول كيفية التنفيذ الفعلي :

١ ـ في البحث التاريخي جرت عملية افراز التخصصات حسب اجزاء التاريخ المختلفة . وتجري الدراسة حسب عدة مبادىء : مبدأ العصور ، المبدأ المساحي الجغرافي ، حسب مجموعة مسائل ، حسب الجوانب والظواهر المتفرقة . أقترح استخدام مبدأ العصور (والذي سيكون انطلاقا من مفهوم التاريخ العالمي ايضا مبدأ مساحيا جغرافيا) اي :

- * تاريخ الامة العربية في عصور ما قبل التاريخ .
- * تاريخ الامة العربية في العصور القديمة .
- * تاريخ الامة العربية في العصور الوسطى .
- * تاريخ الامة العربية في العصور الحديثة .
- * تاريخ الامة العربية المعاصر .

على ان يكتب تاريخ كل مرحلة اما في مجلد أو مجلدين حسب حجم المادة ، على ان تقسم كل مرحلة انطلاقا من المبدأ المساحي الجغرافي اي القطري .

٢ ـ يقوم بكتابة كل مرحلة مؤرخون عرب من أقطار عالمنا العربي (كل يكتب عن قطره) من المتخصصين ، الا اذا لم يوجد الاخصائي في القطر المعين فان اللجنة المشرفة يمكنها أن تعين مؤرخا من قطر عربي آخر .

٣ ـ استمرارية صدور « المؤرخ العربي » ودعمها كحولية شمولية أساسية تعكس الابحاث العينية لكافة المؤرخين العرب ، لكافة مراحل تاريخ أقطار الوطن العربي .

٤ ـ الاحتفاظ باستمرارية وتطوير المجلات القطرية المتخصصة .

٥ ـ ان يصدر اتحاد المؤرخين العرب مجلة دورية ثانية يتدارس فيها الباحثون المسائل النظرية المتعلقة بمنهجية البحث التاريخي .

٦ ـ بما انه لا يوجد اتفاق حول مسألة كرونولوجية الانتقال من مرحلة الى اخرى ، أقترح تضمين هذا الموضوع في جدول أعمال الندوة العالمية في تونس لمناقشة موضوع البحث التاريخي وتحديد المنهجية التاريخية للباحث العربي والمزمع عقدها بالجامعة التونسية حسب جدول النشاطات التي يعتزم الاتحاد القيام بها في خطته المقبلة .